NDU Spirit
دوريّة حول علامات الحياة
في عالم جامعة سيّدة اللويزة

هاتف | 6-208994 09
هاتف/فاكس | 214205 09
www.ndu.edu.lb/research/ndu-press/spirit

رئيس التّحرير
جورج مغامس

التّحرير بالانكليزيّة
ماريو نجم

متابعة
ليديا زغيب

تصوير
ع. بجّاني، م. بو شبل، ن. نصر

تصميم
NDU | DBGO Design & Brand Guardian Office

تنفيذ
مطابع معوشي وزكريّا

التّسويات، لا المساوماتُ، هي، في غالبِ الظّنِّ الخام، أَجلى وأرقى صورِ فنونِ الممكنِ في السّياسةِ، أيّةِ سياسةٍ، بدءًا من التّربيةِ البيتيّةِ، وانتهاءً بإدارةِ الدّولةِ والعلاقاتِ ما بين الدّولِ.

فالتّسويةُ، هي حالةٌ مركّبةٌ من إدراكٍ واستيعابٍ وقناعةٍ ورضىً، فإرادةٍ وعزمٍ وإقدامٍ...

والتّسوَويُّ يَعرفُ ويَعترفُ أنّه لا يَملِكُ، ولا يمكنُ أن يملِكَ حقيقةَ أيِّ شيءٍ؛ بل هو يقاربُ حقائقَ الأشياءِ، بروحِ الشّراكةِ والتّرحابِ...

فحيثُما تَسويةٌ وتَسوَويٌّ، لا تفاوضَ على أثمانٍ أو جمعٍ بين حقٍّ وباطلٍ، بل مرونةٌ نحو وَسطويّةٍ.. نحو حوارِ التّقاطعِ والتّلاقي.. نحو التّلاقحِ وصياغةِ المشتَركاتِ، في مسارِ التّساوي.. مسارِ الاعتدالِ والإنصافِ، على وقعِ اختلافِ الهممِ والقدراتِ.. وتنوّعِ الانتظاراتِ والتّطلّعاتِ، حيث كلٌّ في مَجالِه يَكيلُ بمِكيالِه.. ويبادلُ فرحَ الأخذِ بفرحِ العطاءِ، وفرحَ الواقعِ بفرحِ الرّجاءِ!

غايةُ التّسوياتِ الحلولُ.

فلا بدَّ إذًا من تذليلِ عقباتٍ، وردمِ هُوّاتٍ، وتقريبِ وجهاتٍ...

لا بدَّ من فهمٍ وتفهّمٍ وتفاهمٍ...

لا بدَّ من نورٍ وصدقٍ وثقةٍ وشجاعةٍ وصبرٍ وثباتٍ، في القلبِ وفي العقلِ.. في الغِيرةِ وفي الإقدامِ.



ABSTRACTS خلاصات
www.ndu.edu.lb/research/ndupress

FOR INFORMATION للاستعلام
Zouk Mosbeh | Lebanon P.O.Box: 72 Zouk Mikael
Tel. | +961 9 208994 - 6
Tel.\Fax | + 961 9 214205
email | **ndu_press@ndu.edu.lb**

**إنّ الآراء الواردة في الـ NDU Spirit تعبّر عن كتّابها والمشاركين، وليس بالضّرورة عن المحرّرين.*

المحتوى

كلمة ٤
- مَرحَى بِرَجلِ الجمارك... — جورج مغامس — ٤

مدارات ٧
- في عيد التأسيس الـ ٢٧ — ٨
- سعيد عقل.. على رأسِ شارعٍ بيروتيّ — ١٢
- يونس الابن نُصُبًا — ١٤
- «مريم حامية الشرق» في رسم وترنيم وتأمّل وصلاة وشعر — ١٨
- من حَصاد العمل الرعويّ الجامعيّ — ١٩

وجوه ٢٣
- الإمام الأوزاعيّ — ج. م. — ٢٤

أبحاث ٢٧
- علاقة الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة بالكرسيّ الرّسوليّ — الأب فرنسوا عقل — ٢٨

مقالات ٣٧
- محنة الربيع العربيّ — د. أمين أ. الريحاني — ٣٨
- أزيلوا العنف عن وجه الله — الأب بيار نجم — ٣٩
- مارون عبّود في «حبر على ورق»: أصداءُ الخيبة ونشوةُ الحريّة — سيمون بطيش — ٤٣
- التّقارب في المستوى الفنيّ والمشاركة في تكوين تراث جديد — الأب خليل رحمه — ٤٦
- كرةُ القدَم — ج. م. — ٤٨



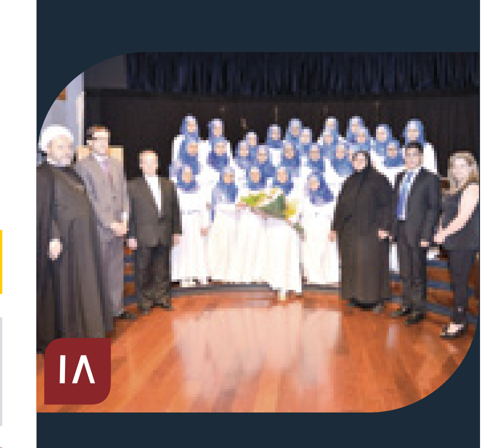
١١



١٢



١٧



١٨



٤٧

٥٨

براعم ٤٩
- صرخة غضب — جوويل شدياق — ٥٠
- يوم التخرّج — نيفين فرحات — ٥١

قصّة ٥٢
- كان حلم استثنائيًّا — إيلي مارون خليل — ٥٣

مراجعات ٥٧
- في فضاء الندوة حول كتاب الأب طيّار «القيم والمعتقدات والممارسات الدينيّة لدى الشبيبة المسيحيّة في لبنان» — ٥٨

شعريّات ٦٤
- المجدُ للكلمة — باسمة بطولي — ٦٥
- عفوًا أبا تمّام في تفجير تمثال الشّاعر — د. جميل الدويهي — ٦٦

كلمة

جورج مغامس



مَرحَى برَجلِ الجمارِكِ...

«التّكفير والتّكفيريّون»، مُفردةٌ تكادُ تكونُ على كلِّ شفةٍ ولسان. ولا يَعدِلُها أو يَزيدُها رواجًا إلاّ مُفردةُ «الإرهاب والإرهابيّون». وكلاهما وجهان لعملةٍ واحدةٍ، نُقشت بمِنقاش عدمِ قَبولِ الآخرِ المختلفِ ورفضِه وعزلِه وإقصائه وإلغائه..»، وهي قلّةُ الحبّ!

فمَن ليس في قلبه حبٌّ، أو كان هذا الحبُّ قليلاً، هو إنسانٌ حائرٌ بائرٌ.. وجائرٌ أيضًا؛ فليس رشيدًا، ولا خَليقًا بمروءةٍ ومَكرُمات، ووَأْدُ حقوقٍ وكرامات، كارهٌ الجمالَ مصدرًا ومصبًّا!!

وإنّنا، منذ أن كنّا وكانت هذه البسيطةُ، لا نألو جهدًا، بغير دافعٍ ودافع.. دَحمًا دَحمًا ودَواليك، في تداولِ تلك العُملةِ الرَّقطاءِ، أقبلت طلائعُها على الأسنّةِ من يدِ قايينَ إلى يدِ بيلاطسَ.. إلى كلِّ يدٍ في صِفّينَ وحِطّينَ وكربلاءَ وصداها اليَتردّدُ اليومَ بالويل والثبور من أقصى المشرقِ العربيِّ والإسلاميِّ إلى أقصى المغربِ العربيِّ والإسلاميِّ، وفي فضاءاتِ دُنى الانسانِ قاطبةً وإطلاقًا...

بلى. قلّةُ الحبِّ قتلتْ سقراطَ والحلاّجَ وغاليليه «وزنادقةً وهراطقةً ومُرتدّين» مَزعومين... قتلتِ الهنودَ الحمرَ والأفارقةَ السّودَ وكاثوليكًا وبروتستنتيّين... عمّمت محاكمَ التّفتيشِ الخبيثةَ في أوروبا ومستعمراتِها... ولّت على حرّيةِ الخيارِ والقرارِ الأمّارينَ النّهاةَ الطّغاةَ ومَن يأخذون النّاسَ بالشّبهة... أحرقت مكتباتٍ ومكتباتٍ في الإسكندريّةِ وأنطاكيا وبغداد... أحرقت قلوبًا وعقولاً وحقولاً سُكّريّة...

وهي هي قلّةُ الحبِّ تقيمُ حدودَ الدّمِ سدودًا لمجرى القيمِ، بين الجماعاتِ والأفرادِ، بشرِّ فتنةٍ وشَرِّ فُرقةٍ وبتعصّبٍ أعمى وحقدٍ مَقيت...

قلّةُ الحبِّ فرّغتِ الدِّينَ من الإيمان، وطردتِ اللهَ إلى معسكراتِ الأحكامِ والفتاوى، حيث يقولُ ما لم يَقلْ، ويريدُ ما لم يُردْ.. يكادُ يَندمُ على: «كُنْ فكانَ».. على خَلقِه الانسانَ! واستطرادًا: لا. ليس للهِ هُويّة. الله ليس إلهي أنا دون الآخرين. الله هو إلهُ الجميع.

فلماذا نختلفُ عليه، ولماذا نحشرُه في خلافاتِنا.. لماذا نَرفعُه على راياتِنا شيخَ قبيلة؟!

إنّا، كثيرٌ منّا، منذ أن كنّا، ذئابٌ خاطفةٌ تتدثّرُ بثيابِ الحُملان. فكلّنا، من قلّةِ الحبِّ، تكفيريّون وإرهابيّون، تعدّدتِ الأسبابُ وتنوّعتِ المواقعُ وتدرّجتِ النِّسبُ؛ ومَن به ريبةٌ، فلينظرْ في بيتِه وحيِّه ودُورِ دراستِه وعبادتِه ومحافلِ الأوطان...

إنّنا في قبضةِ التّكفيرِ والإرهابِ من الوريدِ إلى الوريدِ وحتّى النّخاعِ الشّوكيِّ؛ نهدّدُ النّاسَ بنارِ الدّنيا ونارِ الآخرة.. نهدّدُهم في حقوقِهم وحرّيّاتِهم وكراماتِهم وأرزاقِهم ومصائرِهم.. نهدّدُهم في كلِّ كبيرةٍ وصغيرةٍ باسمِ الأمانِ والسّلام، وباسمِ الدِّينِ وسيفِه، وباسمِ الوطنِ وسيفِه.. باسمِ كلِّ سيّافٍ، وباسمِ إيديولوجيّةٍ تُعمي عن كلِّ إنسانيّةٍ وتُلغيها.. تُذري بحقوقِ الانسانِ: قوّةِ مَن لا قوّةَ لهم في وجهِ الأقوياء.

إنّها أيدينا تأخذُ بأعناقِنا حتّى الاختناق!

في مَقتلةٍ نحن، ونَهدمُ بيوتَنا على رؤوسِنا.. ندفِنُ رؤوسَنا في الرّمال.

فلقد أُخِذنا بأربابٍ شَتّى: في صناديقَ شَتّى، وفي كراسي السّلطات..

وأُخِذنا بمخاوفَ من قَطعِ أرزاقٍ وقَطعِ أعناق.. وقَطعِ حَبلٍ من وصلِ الليلِ بالنّهارِ في سبيلِ كِسرةٍ وحَفنات.. ومن قَطعِ أنفاسٍ في لُهاثٍ وراءَ المستحيل..

وأُخِذنا بمَجاهلَ وجَهالاتٍ، وأوهامٍ وأضغاثِ أحلامٍ، وشعائرَ وشعاراتٍ خَرقاءَ جَوفاءَ كَهَباءٍ في مَهبِّ ريحٍ، وماءٍ يموجُ في بَسطةِ السَّراب..

وأُخِذنا بوعودٍ وعهودٍ، وقروضٍ وهباتٍ، واتّفاقاتٍ ومعاهدات،..

أُخِذنا بالحبائلِ والأكاذيبِ، وبالسُّباتِ بَلادةً وذُهولا،..

وإذ نحن، في هذا المَطافِ المطّرِدِ الطّفافِ، أوطانٌ، كأنّها لِسُوقِ النّخاسةِ أو لِمقاهي الرّصيف!
فالأيّامُ، إزاءَنا، في جيئةٍ وذهابٍ، كحَمّالٍ، كبائعٍ جَوّالٍ، وليس على الجارِّ والمجرورِ إلاّ السّوادُ والسّوداء،..

وحالُنا، من سُهومٍ سَقمًا وهُزالاً، كمن يَتعبّدُ للهِ بالتّنازلات.. تَخيبُ به مرآتُه ويَخيبُ وجهُ السّماء!!

فكم نحن في حاجةٍ إلى كمٍّ من الحبّ؛ هذا الّذي لا شيءَ مثلَه ينقّي ويقوّي ويرقّي ويريحُ الرّوحَ، ويقرّبُ من الله، ويَهَبُ نعمةَ معرفةٍ وتلبيةِ حاجةِ كلِّ محتاجٍ إلى شيءٍ في أحشائه وفي الجسد!

حقًّا، لا سحرَ يوازي سحرَ الحبّ. فإنْ أُوتينا أن نَستضيفَه في حَدقاتِ عيونِنا، فإنّه سيَعتني بحدائقِ أيّامِنا. فهو لا يُهملُ مَن يَستضيفُه؛ بل يَكسوه بحُللِ الجمال، ويُسكِنُه منازلَ الطّمأنينةِ الهَنيّة!
الحبُّ، وليس سواه، سببُ الفرحِ الحقيقيِّ.. سببُ الفرحِ الدّائم.. يَمنحُ الألوانَ للحياة.

به نتعرّفُ إلى ذواتِنا وما بينَها، وإلى اللهِ وما بينَنا.. فنعرفُ ما الحقُّ وما الواجبُ، حتّى لَنحسَبُ الواحدَ هوَ الآخرَ؛ فنُعطي ونَبني ونَتقدّمُ...

ولكنّنا لم نَبلغْ يومًا لا إلى مدينةٍ فاضلةٍ، ولا إلى فردوسٍ أو ملكوت،.. من أفلاطونَ إلى أغسطينوسَ إلى الغزالي وابنِ رشدٍ إلى ماركس.. وكلُّ مَن حَكَمَ بعدالةِ الأرضِ وحَكَمَ أو زَعمَ أنّه يَحكمُ بعدالةِ السّماء...

إنّها قلّةُ الحبِّ تفعلُ فعلَها في إراقةِ الدّمعِ وإهدارِ الدّماءِ، وفي فقرٍ وجوعٍ وجهلٍ وأدواءٍ، وفي.. في تكفيرٍ وإرهاب..

مصائبُ شتّى جُمّعَت في مُصيبةٍ ولم يَكفِها حتّى قَفَتْها مصائبُ
-المتنبّي-

قلّةُ الحبِّ هي المُصيبةُ الكبرى.. هي علّةُ كلِّ هذا الخُواء.. هذا الشّرِّ المطلقِ الخبيث. ثمّ يوافقُ شَنٌّ طَبقة؛ يُطبقُ بعضٌ على بعضٍ؛ تَجرُشُنا الطّواحينُ؛ نَصيرُ أُكْلَ الرَّحى.. حُثالةً أو رُذالةَ الأشياء...

ونَجلِسُ نبكي على أطلالِنا، نَرمي الحظَّ بالسّهام، ونَزجرُ طيورَ الغيوبِ، ونُلقي تَبِعاتِ المآسي على سَمومٍ من صحراءٍ أو ملحٍ من البحار،..

وإنّنا، لو ندري، ككَشّةِ مُهاجِر.. ككشكولِ متسوّل.. كجرابِ الرّاعي الضّاربِ في قَصيِّ الجبالِ، ليس في أيدينا إلاّ ما يَعبرُ بنا ضفّةَ ليلٍ إلى ضفّةِ النّهار!

كلُّ مشهدٍ في مسارِحنا حلمٌ مكسورٌ على خُلَبِ العناوينِ، وعلى المخالبِ في المضامين.. وكلُّنا نؤدّي (علينا أن نؤدّيَ) أدوارَنا (كلَّ أدوارِنا الهجينةِ) قبلَ إسدالِ ستارةِ آخرِ المأساة.. فحقًّا حقًّا، صدقَ القائلُ النّبيهُ صالح عبدُ القدّوس:

لن تَبلغَ الاعداءُ من جاهلٍ
ما يَبلغُ الجاهلُ من نفسِه!

فهي أحوالُنا تتشكّلُ بأشكالِنا. وأشكالُنا هي هذا البَيِّنُ المشهودُ في فعلٍ بعدَ قولٍ، والقولُ «قد أفسدَ القولُ حتّى أحمدَ الصّممُ»- يقولُ المتنبّي العظيم.

أيّها الانسان- يقول سقراط- إعرفْ نفسَك بنفسِك.

فهلاّ عَرفنا ما فينا، لنُصلحَ ما فينا.. لنُصلحَ الحالَ الّتي كمثلِ قولِ المتنبّي أيضًا وأيضًا: «الجوعُ يُرضي الأسودَ بالجِيَف»؟!

هل فاتَ الأوان؟

لَعمري، الضّربةُ القاسيةُ، ليست بالضّرورةِ ضربةً قاصمة، بل قد تعلّم؛ وما يعلّمُ لا يخسر.

فمَرحَى برَجلِ الجمارِكِ، أقنومِ الضّميرِ.. عقلِنا العتيقِ، يستفيقُ في مرفأِ وجدانِنا الفرديِّ والجَماعيِّ، ويُجري كلَّ شيءٍ مَجراه الطّبيعيَّ، تحتَ رايةِ الحبِّ.. صليبِ الخلاصِ الأكيد،.. وليس التّكحُّلُ في العينينِ كالكَحَل!

وَليصدّقْ مَن يصدّقُ أنّ النّيّاتِ كالبيّناتِ لا تَكذب، وأنّ الإيمانَ بالفضيلةِ أقوى من الفضيلةِ ألفَ ألفَ مرّة!!

مدارات

في عيد التأسيس الـ ٢٧:

الوزير بو صعب:
هذه الجامعة منارة، علامة فارقة، منبر ومقصد...
الأب موسى:
تعلّمتُ أكثر ممّا علّمتُ أن نكون لكلّ الوطن وفي حركة تغيير وإنقاذ دائمة

على وقع الربيع يلوّن الترابَ والشجرَ ويعطّر الفضاء، أقبل عيدُ تأسيس الجامعة السابع والعشرون، فكانت عشيّةُ الثامن من أيّار ٢٠١٤ حلقةَ فرح، ضمّت أسرةً ومسؤولين وأصدقاء...

وكان بين التّرنيم والغناء والنقر على الوتر وبيانات الجديد بالصوت والصورة، كلماتٌ بيّناتُ الدلالة والأثر..

*فقال وزير التربية والتعليم العالي **الأستاذ الياس بو صعب:***



لقد تابعت تطوّر جامعة سيّدة اللويزة، واتساعها جغرافيّاً وعلمياً، وتفرّعها في المناطق. كما تابعت باهتمام أكبر تقدّمها في ملفّ الحصول على الاعتماديّة من جهات أميركيّة مرموقة في حقل التعليم العالي؛ وهذه خطوة كبيرة حقّقتها الجامعة على طريق دخول عالم ضمان الجودة. وإنّني أهنّئ رئيس الجامعة وعمداءها وأساتذتها على ما شاركت به أيضاً لجهة برنامج إعداد الخبراء، من خلال مشاركتها الفعّالة في برنامج إنشاء هيئة وطنيّة مستقلّة لضمان الجودة في التعليم العالي.

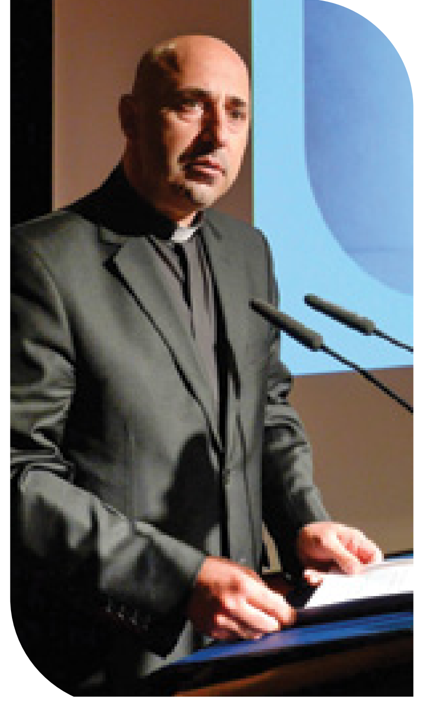
إنّ ضمان الجودة هو السبيل الأفعل لتحديد المؤسّسات التي تسعى يومياً إلى تطوير برامجها وأبحاثها، وتتابع خرّيجيها في سوق العمل، وترسّخ لنفسها تقاليد جامعيّة تصبح مع مرور السنوات العلامة الفارقة في تاريخها كمؤسّسة للتعليم العالي تعدّ أجيالاً متمايزة علماً وقيادةً وخدمةً للخير العامّ.

وأضاف: إنّ وزارة التربية والتعليم العالي، التي تابعت إقرار المجلس النيابيّ لقانون تنظيم التعليم العالي الخاصّ، بحسب أسس ومعايير تليق بالعصر الحاليّ، سوف تكون ساهرة على تطبيقه، ليشكّل الضمانة للجامعات التي تسعى للحصول على مواقع لها في التصنيف العالميّ لمؤسّسات التعليم العالي؛ وأعتقد أنّ جامعة سيّدة اللويزة سوف تكون من بين المؤسّسات التي تعمل باستمرار لحجز مقعد لها بين كبريات مؤسّسات هذا القطاع.

وبعد، فإنّ الوزارة تتابع عبر مجلس التعليم العالي طلبات الجامعات، ومنها جامعة سيّدة اللويزة، للحصول على اختصاصات وكليّات جديدة بما يساعد على إعداد أجيال متمايزة في حقول عديدة وجديدة أو متجدّدة.

وختم: في عيد جامعة سيّدة اللويزة لا بدّ من التنويه بأنّ هذه الجامعة تحوّلت، على مرّ السنوات، منبراً للعديد من القضايا العلميّة والمؤتمرات والندوات الثقافيّة والاجتماعيّة والأدبيّة والفكريّة، فأصبحت منارة في عالمها، وعلامة فارقة بين شقيقاتها، ومقصداً لشخصيّات العالم ولكبار الأدباء والشعراء والعلماء والمفكّرين. وهذا دور يكاد لا يضاهيها فيه أحد.

*أمّا رئيس الجامعة **الأب وليد موسى** فبادر:*



أعترف أمامكم أنّني تعلّمت، خلال تسعة أعوام من رئاستي لهذه الجامعة، أكثر ممّا علّمت؛ ولا أدري إن كان ذلك خطأ أو خطيئة، أو حقيقة إنسانيّة لا يجوز إنكارها.

وتابع: أصارحكم ببعض الأمثولات التي تعلّمتها، خلال هذه السنوات التسع، وأختصرها ببعض ما له علاقة بشؤون التعليم العالي والعمل الوطنيّ:

١''- تعلّمت أنّ الرئاسة ليست تتويجًا لمسيرة إنسان في العمل الجامعيّ، إنّما هي رحلة نحو تكامل شخصيّته وإنمائها. معنا، نحن الرهبان المكرّسين لله، هي رسالةٌ يُنتدب إليها واحد منّا، فيعمل على تأديتها، متّكلاً على الله، متّخذًا من كلام المسيح شعارًا له: كبيركم خادمكم. وويل لنا إن أضعنا الطريق أو غرّتنا مظاهر أو خضعنا لكبرياء مزيّفة. ولا يظنّن أحدٌ أنّ الرئاسة- أيّة رئاسة، حتّى ولو كانت رئاسة جمهوريّة- هي خاتمة، فالشجرة الأكثر ارتفاعًا، لم تكن يومًا، أوفر غلالاً وأطيب ثمارًا.

٢''- تعلّمت أنّ التعليم العالي ليس جزيرة مستقلّة أو حقلاً منفصلاً عن الواقع الوطنيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والدينيّ والأمنيّ... لا يمكنك، ولا في أيّة لحظة، أن تقول: فخّار يكسّر بعضو... ما لنا ولهم؟ التعليم العالي جزء لا يتجزّأ من الحياة التي نحياها في الوطن؛ وكلّ شظايا التفجيرات والإضرابات والانتخابات والانتخابات، تصيب الحرم الجامعيّ- ولو كان حرمًا- وتُوقِع فيه إصابات وجراحًا موجعة. وهنا السؤال الكبير: نحن نتأثّر بالأوضاع الوطنيّة، ولكنّنا مدعوّون، ثقافيًّا، ضميريًّا، رسوليًّا، أن نؤثّر في هذه الأوضاع، وأن نجد حلولاً. نعم، علينا كمؤسّسات تربويّة، أن نلعب دورًا في لبنان، لإنقاذه، فلا يضيعَ الوطن في متاهات ما نشهده، هذه الأيّام، من صراعات شخصيّة، تكاد تودي بنا وبالوطن. فهل نعي هذا الدور؟ قدرنا أن نُعِدَّ قادة، لا أن نُعدَّ جماهير لا دور لها إلاّ الهتاف والتصفيق.







٣''- تعلّمت أنّ التعليم العالي العامّ والخاصّ، لا يمكنه أن يكون فئويًّا: لا لدين أو مذهب، لا لحزب أو تيّار، لا لمنطقة دون أخرى، ولا لطبقة دون طبقة. التعليم الخاصّ مُتّهم بأنّه صنيعة الطوائف أو أهل السياسة أو الطبقة الرأسماليّة. هذه «التهمة» نجد لها بعض المبرّرات والبراهين، ولاسيّما من حيث الشكل: جامعة تملكها طائفة أو رهبنة، جامعة يملكها رئيس حزب أو رجل سياسة، وجامعات أصبحت تتباهى أنّها تبغي الربح وأنّها تعمل لهدف تجاريّ.



أؤكّد لكم أنّ ما تعلّمته في جامعتنا هو أن نكون لكلّ الوطن، كما هي مريم التي نحمل اسمها لكلّ الطوائف والمذاهب، ولكلّ الشعوب. كما أؤكّد أنّنا سمونا عن العمل السياسيّ الضيّق، وترفّعنا عن الكسب الماديّ الرخيص. وأعترف أمامكم بهذا الرقم: ثلث طلاّبنا (من أصل ٧٥٠٠ طالب) لا يمكنهم دفع كامل رسومهم الجامعيّة؛ ومع ذلك، لم يُهملوا، ولم يتركوا الجامعةَ يومًا... عفوًا، إن صرّحت بذلك، فليس ادّعاءً، بقدر ما هو إضاءة توضع فوق مكيال. كما أؤكّد أنّنا، ورغم كلّ شيء، حافظنا على حقوق الطالب الوطنيّة الأكاديميّة ولم نميّز بين هويّة وأخرى. كما أنّ إيماننا ثابت بأنّ الانتخابات الطلاّبيّة، رغم كلّ مساوئها، هي اختبار لمن يطالب بخفض سنّ الاقتراع لمن هم في الثامنة عشرة من العمر، وهي طريق إلى حياة ديمقراطيّة وطنيّة صحيحة.

٤''- تعلّمت أنّ التعليم العالي لا يمكنه أن يتجمّد في قوالب أو ضمن جدران. تفرض علينا الحداثة والتكنولوجيا والعالم الرقميّ المعاصر أن نكون في حركة دائمة وفي تغيير مستمرّ: لا لمناهج محنّطة، ولا لأساليب متحجّرة. في كلّ يوم، جديد يفرض نفسه... وعلينا، وعلى الوزارة المسؤولة، أن نواكب هذه التطوّرات، لا أن نحيا على تقاليد ما عادت تتناغم مع الثورة المستمرّة التي نعيش. كيف يمكن أن نوفّق بين التراث والتجديد؟ هذا هو التحدّي الذي تعلّمته، طوال هذه السنوات... ولن أبالغ، إذا قلت، أنّ جامعتنا ستشهد تطوّرًا لافتًا، هذه السنة، في موضوع التواصل والمعلومات، وأنتم شهود على ذلك.

٥''- تعلّمت أنّ العمل الجامعيّ هو عمل جَماعيّ: الرئيس كما الطالب، كما الأستاذ، كما الموظّف... جميعهم في ورشة واحدة، فلا احتكار رئاسيًّا لمسؤوليّة، ولا احتقار لمرؤوس. أؤكّد لكم أنّ كلّ ما قمتُ به، خلال السنوات التسع، إنّما كان بالتعاون والتضامن والتكاتف مع جميع أفراد الأسرة الجامعيّة. فإذا وقعت مرّة، في خطأ التفرّد، فما كان ذلك، إلاّ نتيجة وجعٍ أو التهاب يحتاج إلى وصفة سريعة.



جوزف صالح



جويس حاكمه، ماريّا كريستينا فاخوري وسنا بو شديد

وانتهى الأب موسى إلى رفع باقة شكر إلى مريم الراعية، والرهبانيّة الساهرة، والوزارة الداعمة، وكلّ من أنهض وطوّر ونمّى.. رؤساء وأمناء وعمداء ومدراء وموظّفين وعمّالاً.

وقد كان لنائب الرئيس للعلاقات العامّة والتواصل ***الأستاذ سهيل مطر*** *تأكيدٌ للمؤكّد أَنْ* «بشفاعة مريم التي نحمل اسمها، بتراث الرهبانيّة المارونيّة المريميّة التي ننتمي إليها، بجهود كلّ إنسان عمل في هذه الجامعة (وبعضُهم في دار الخلود)، بعرق الجباه، بسهر العيون، بكدّ العقول.. صُنعت هذه الجامعة».

وأضاف: نحن نمارس العمل وبصمت، على أنظمة جديدة وحديثة، على إنشاءات علميّة، على اختصاصات تؤمّن فرص عمل، على مواكبة العصر... ولا يظنّنّ أحد أن الأخطار التي تهدّد لبنان، تشلّ العزيمة!



شربل ناكوزي وبول غارابد



وليد بو سرحال



سعيد عقل شاعرَ العربيّةِ اللبنانيّة

على رأس شارعٍ في السّيوفي بأشرفيّةِ بيروت

بدعوةٍ من بلديّة بيروت وجامعة سيّدة اللويزة، شهدَ غروبُ ٤ تمّوز ٢٠١٤ العيد ١٠٦ لولادة شاعر العربيّة اللبنانيّة سعيد عقل، خلال احتفالٍ بإطلاق اسمه على قسم من الشارع ٧٧، قرب حديقة السيوفي بالأشرفيّة، بموجب القرار البلديّ ٦٤١، على ما أعلن رئيس المجلس البلديّ لمدينة بيروت المهندس **بلال حمد**، ونوّهَ: فقد كان أن كان ثلاثيّة الحبّ والفكر والجمال!













الاحتفال الذي حضره، إلى أهل الدعوة، محافظ بيروت القاضي زياد شبيب ووجوهٌ من حَملةِ مفاتيحِ الكلمةِ والقرارِ في غيرِ موقعٍ ونصاب، تقدّمه وزير الثقافة **المحامي روني عريجي** ممثّلاً رئيس مجلس الوزراء الأستاذ تمّام سلام، قائلاً: سعيد عقل الذي شقّ للشعر شوارع هو اسمه اليوم على شارع بيروتيّ. فلقد نصبَ قصائده منحوتاتٍ متحفًا، وعمّر لبنان أحلامًا...

رئيس الجامعة **الأب وليد موسى**، متسائلاً، أوضحَ:

لماذا نحن، في جامعة سيّدة اللويزة، معنيّون بهذا الحدث الكبير؟

لأنّ سعيد عقل يمثّل لبنان- العظمة والثقافة،

ولأنّه يمثّل لبنان الذي نعلّمه في مدارسنا والجامعات،

ولأنّه الردّ على أهل التطرّف، وعلى من يريد أن يحوّل لبنان إلى بؤرة عنف وكراهية وأحاديّة عمياء.

ولأنّه قدّم لنا، كجامعة، ولكلّ هذا الوطن، قرابين قلبه وعبقريّته: مؤلّفاته نثرًا وشعرًا، وسائر آثاره الفكريّة.

وكان الأستاذ **الأديب سهيل مطر** أبدى ثلاث ملاحظات: أُولاها أنّ سعيد عقل هو في استراحة الطفولة الهانئة؛ والثانية أنّه، بالإضافة إلى الصلاة، لا يزال يحلم ويقول الشعر ويحبّ؛ والثالثة أنّه، بعمره، ظاهرة استثنائيّة...

وأردفَ الثلاثَ بأخيرةٍ: لا تقسّموا سعيد عقل، لا تجزّئوه،
لا تتّهموه بخطأ هنا أو
بموقفٍ هناك...

يونس الابن مرفوعًا في الجامعة

*نصبٌ آخرُ لمبدعٍ آخرَ من لبنان، ترفعُه جامعة سيّدة اللويزة على مدارجها وفي باحاتها عنوانَ وفاءٍ واقتداء: يونس الابن، الشاعر الذي أغنى، ولاسيّما بعاميّته الراقية الرقراقة، دنيانا الأدبيّة والغنائيّة والإعلاميّة.. وقد كان ذلك، في ٢٦ أيّار ٢٠١٤، في حضور وزير الثقافة **روني عريجي**، وبمشاركة محبّين وقادرين، ومجلس بلديّة مزيارة الذي قدّم للجامعة درعًا تكريميّة، تحيّة بتحيّة.*

*النصب الذي بإزميل الفنّان القدير **بيار كرم**، وأعلن الأستاذ **سهيل مطر**، باسم رئيس الجامعة وباسم أسرتها، رفعَ الستارة عنه، إنْ هو إلاّ في نصاب ما اختطّته الجامعة من سياسة ثقافيّة نابعة من صميم الحقيقة اللبنانيّة.. هذه الحقيقة التي يُزري بها الطارئون على كلّ شيء وفي كلّ شيء، وهو ما عبّر عن جانبٍ منه الأستاذ مطر في كلمته، التي جاء فيها:*



في الليلة الظلماء يُفتقد البدر...

وفي الزمن الظالم اللبنانيّ الهزليّ، يُفتقد يونس الابن.

تعالَوا نحلم: ماذا لو كان بيننا، اليوم، يونس الابن؟

ماذا تراه كان يكتب عن البارحة، ٢٥ أيّار، ما قبل وما بعد، وعن انتخابات لم تحصل؟

تراه كان، بأسلوبه الكاريكاتوريّ، وبغضبه الطفوليّ، وبابتسامته الساحرة، وبلغته العفويّة، تُراه كان يقول: *هيدي آخرة مدري شو، يا مدري شو؟!*

أم تُراه كان يشرب كأسًا بحزن، يصمت مبتلعًا شتيمة، لو خرجت من شفتيه لورّطتنا جميعًا في بهدلة ومحكمة وشرطة أخلاق؟

تعالوا نتابع الحلم:

ماذا لو كان بيننا يونس الابن، يستمع إلى وديع الصافي- تحيّةَ عظمة إلى هذا الرجل- وهو يغنّي: هالكم أرزه العاجقين الكون؛

تُراه كان يبكي: أوّلاً على وديع الصافي، وثانيًا على وطن أعطيناه ولم نعرف كيف نحافظ عليه. وهالكم أرزه تبكي، بدورها، على وديع شهيد الايمان، وعلى يونس شهيد الحبّ، وعلى شهداء رحلوا... وينن؟

ضاعت أسماؤهم ولم يبق من الشهيد إلاّ لوحة شاهدة على القبر، ونحن نردّد:

يا ليتهم شهداء الارض ما قتلوا | فدى تراب بلادٍ أو فدى عَلَم
لو قائدٌ هزّيوها قرب مقبرةٍ | لصاحَ كلُّ شهيد: قف، أين دمي؟

وينن؟

تعالوا نتابع الحلم:

لو كان بيننا، وتوقّف عند مشهد الأعلام: أعلام منتشرة- مونديال، وأعلام مرفرفة- أحزاب، ونادر: علم لبنانيّ؛ فنحن نرقص في عرس خالتنا، ولا خجل!

ولكن، يونس في استراحة: دعوه، لا تزعجوه، وحده يفرح في عالمه، ربّما هو في ساعة سجود وصلاة، وربّما أيقن أن لا شيء ينفع إلاّ الصلاة.

أخي يونس، لا تقل لي: هالوج بعرفو، دخلك وين شايفك؟

تعال ننسَ السياسة والواقع وأجواء الدخان والضباب والثرثرة.

تعال، أيّها الصديق القديم، نعد إلى زمن المريول، والأزرار المفكّكة، والشفاه المبلّلة بالحنين. تصوّر معي إحداهنّ، هي هنا، في هذه القاعة، جنيّة مخمّرة بالشوق والشهقة. تبتسم وفي عينيها ألف نداء.

أقول لها: تعالي، لا تجيء | تراها صار يزعجها المجيء؟
لأنّي والكلام لها جريء | أهدّي إلى حدّ يسيء
لانّ الحبّ يعجبها بريئًا | ويوجعني أنا الحبّ البريء

اشتعل، يا رجل، إنّها الذكريات، وما أوجعها، ألستَ أنتَ القائل:

ولذكرياتو جبال من بارود | شو عاجقو لتعب بالكبريت؟

يا ويل العشّاق، يا يونس، كم يدفعون من ضرائب، يدفعونها من دمهم وأعصابهم وسنوات عمرهم. أمّا المرأة المجهولة، مجدُها أنّها ألهمت. ولكن، بأربع خمس كلمات تحوّل الجسد إلى امرأة خالدة. قل لي، والحكي بيناتنا، يونس: كم عَذّبتَ وعُذّبت، وكم امرأة تعرّت في قصائدك، وكم من جنيّة اختُرعت، وإن كانت «نجيبة» تبقى المرأة، بألف لام مكبّرة، وتحيّة حلوة لها رمزًا للحبّ والوفاء.

قلتُ: تعالَ ننسَ، يا يونس، ونعدْ إلى مزيارة:

شعر وجمال وسحر
وشمخة جبل جهلان
يغسّل جريه البحر.

هناك، مع يوسف يونس، مع مسبحة الراهب، مع الأمّ بصوتها الحنون: الله يرضى عليك، ومع الأهل الطيّبين، ومع العريشة والنعناع وكأس العرق، يحقّ لك أن تستريح.

فإن مررنا، فوق، أيّها الأصدقاء، لا تحنوا الجباه حزنًا، بل ارفعوا الرؤوس كبرياء؛ فهنا يرقد يونس الابن: تأمّلَ، تألّمَ، أحبَّ، جُنَّ ومات: وهادا العمر أربع خمس كلمات، بلبل حلو، يا ما إلو صابر على جنون الرياح. لا تواجهوا جنون الرياح إلاّ بجنون الإبداع.

ويا يونس

لبنان، يا قطعة سما | اسمك على شفافي صَلا

■■■■

ومادا بعد؟

*البعدُ قولٌ **للشّاعر أنطوان رعد** في الشاعر يونس الابن، بعنوان:*


أنطوان رعد

يونس الابن المتعدّد المواهب والمثلّث البركات وُلد وفي فمه ناي وبين يديه كمان

يونس الابن شاعر مؤمن ومشرك على حدّ سواء: مؤمن بالجمال، مشرك بالنساء؛ ومجموعته «ألف ليلى وليلى» لا تشي بهذا الأمر، بل تعلنه على رؤوس الأشهاد، إيمانًا منه بأنّ التقيّة في الحبّ، حلالاً كان أم حرامًا، تُلغي شرعيّته وتدنّس قدسيّته.

وهو شاعر متعدّد المواهب مثلّث البركات، عشق الفصحى كما عشق العاميّة، وقد جمع العشيقتين فوق سرير واحد دون أن تقع حرب الوردتين، فخرجت الفصحى راضية، وانثنت العاميّة مرضيّة، أمّا هو فقد ظفر بالنشوتين. وفي غفلة من الزمن، خان العشيقتين إذ راود الفرنسيّة عن نفسه، فوقعت هذه في التجربة، وأنجبت الخيانةُ قصائدَ فيها، من خفر العذارى ومن إغواء بنات الجنّ.

وهذا الشاعر الذي صلّى للجمال، لكنّه لم يَصُم يومًا عن أطايبه وطيّباته، يرى أنّ ثلاثة يحاورون الله بحريّة وانطلاق ولا يخافون: المجنون والشاعر والسكران. وقد تسنّى ليونس الابن أن يجمع هذه الأقانيم الثلاثة في شخصه، فكان الثالوث الشيطانيّ. ومن باب حوّاء ولج ملكوت اللاهوت وسمح لنفسه أن يرفع الكلفة بينه وبين الله، فمازحه كما لو كان واحدًا من أترابه، وسبحانه لا يستسيغ المزاح، وتمادى في عبثه فعاتبه ولامه، وبلغت به الوقاحة حدَّ اتّهامه بالتجسّس والحقد، ولم يلبث أن ساقه مخفورًا إلى المحكمة.

في «الكتاب المكدَّس»، وهو شعر باللغة المحكيّة، نقع على الإبداع في أبهى تجلِّياته وأروع صوره، كما في وصفه حوّاء وهي ترى صورتها في بركة ماء:

تامرّا
قعدت تتمرّى
وتتمرَّن عابركة ميِّي
شافت بشرتها محمرًّا
وبمرايتها شافت حيِّي

ويقوم الشاعر بدور محامي الشيطان، فيدافع دفاعًا مستميتًا عن حوّاء وينجح في تبرئتها، لأنّه يرى فيها صورة مريم، صورة حوّاء الجديدة التي اختارها الله لتحتضنه في أحشائها وترضعه من ثدييها وتسهر عليه وترعاه، فيقول على لسان الربّ:

هلأ إنتِ الوصلي بيني
وبين الانسانيِّ كِلّا
ومع أوِّل دمعا من عيني
عينك رح تسهر عا إلّا

ويصوِّر التولُّه والتمنُّع، الرغبة ومقاومة الرغبة، حيرة آدم وتصميم حوّاء، بدقّة متناهية وتكرار إيقاعيّ بديع:

وآدم حدّا عارف حدّو
لا يردّ عليها ولا يردّا
بين البدُّو وِلْ ما بدُّو
وهيِّي بدّا و بدّا و بدّا

ويستخدم يونس الابن المنطق على لسان حوّاء لإقناع آدم بأنّ ما يعتبره معصية، ليس في الواقع سوى انصياع لمشيئة الله وإنجاز للمهمّة التي عجز عن القيام بها:

قادر يقهر أقدر قُدرا
وبالشوك الجارح يتّوّجْ
يتأنسن يولَد من عَدرا
لكن مش قادر يتزوَّجْ

وبعدصولات وجولات يعود الشاعر فيعلن توبته ويتصالح مع الربّ إله المحبّة والغفران، فيتضرَّع إليه ويستغفره، والفضل في ذلك يعود إلى حوّاء مجسَّدة في الثالوث الإنسانيّ: أمّه وحبيبته وبنته. والكتاب



المكدَّس باختصار تحفة شعريّة نادرة، مع أنّ نهايتها لا ترقى إلى مستوى البداية والمتن، لأنّ الشاعر اقترف- على ما أظنّ وبعضُ الظنِّ إثم- خطيئتين: خطيئة إسقاط هذه الأطروحة اللاهوتيّة على الواقع اللبنانيّ، وخطيئة اختتام هذه الرائعة بالفصحى، علمًا أنّه اعترف في المقطع الأخير من مقدّمة الكتاب: «بأنّه كتبه باللغة المحكيّة، اللغة التي بها نَحُبّ وبها نَسُبّ، فهي أسهل اللغات دخولاً على القلب أوّلاً، وثانيًا لا يمكنه أن يتصوّر شاعرًا سكران يحاور الله بفصحى عريقة رشيقة وهو من مؤيّدي العاميّة الشفَّافة الهفَّافة الرفَّافة».

إنّ يونس الابن وُلِد وفي فمه ناي وبين ذراعيه كمان، فكان من الطبيعيّ أن يهدل في قصائده كيمامة هاجها الشوق إلى إلفها وبرَّحها الحنين، وأن يترغل ككنار وهو يستقبل الشمس معلنةً ولادةَ يوم جديد، وكان من الطبيعيّ أن تحتلّ الموسيقى مركز الصدارة في شعره،كما في هذه الأبيات، وهي عيّنات نقع عليها بوفرة في قصائده:

لأُلملمْ ما لم يتلملَمْ   من وَحوَحَة الحلمِ الأحلَمْ
ملهمتي صارت مبهمةً   لم أفهم هل رضيت أم لَمْ

لاحظوا معي هذا الانسياب الموسيقيّ الرائع، وهذا التزاوج الساحر بين حرفي اللام والميم وما يخلّفه في الأذن من إيقاع تصويريّ بديع.
أمّا حرف النون فكانت له حصّة الأسد إذ كرّره تسع مرّات في صدر هذا البيت:

جُنِنتُ حَنَنْتُ حنينًا حزينًا   إلى غفوةٍ قرب أعلى الروابي

ويونس الابن هو شاعر البساطة العميقة والعفويّة الأنيقة؛ وغزلُه الذي يدوّن يوميّات الحبّ بلهفةِ مراهقٍ يأتي إلى الموعد الأوّل، وخبرة عاشق تمرَّس بالتجارب العاطفيّة والمغامرات الغراميّة، غزله هذا هو أشبه ما يكون بغَزْل البنات رقّةً ومذاقًا كما في هذا البيت:

هي أوَّلُ قبلةِ حبٍّ لي   والأُولى أنتِ بها أَولى

أو كما في قوله:

أنت من صام في الجمال وصلّى   ورأى الحبّ للألوهة ظلاّ

وفي غزل يونس الابن نستشفّ نزعته الوجوديّة، فهو يريد أن يقبض على اللحظة الراهنة ليحول دون فرارها، وأن يعتصر الوجود بعنف وشراسة، وأن يجرع كأس الملذّات حتّى الثمالة:

لا يا غدي، لا تقولي للحياة: غدًا   فالعمرُ هيهاتِ باقي العمر يكفينا

وهو لا يترك «حِتَّة» من جسد المرأة دون أن يشبعه مديحًا وإطراء كما في قصيدته الرائعة «نرسيسة». والعريُ الذي يكون عادة دعوة إلى الخطيئة، يغدو لديه حافزًا للصلاة في معبد الجمال وطقسًا من طقوس العبادة، ويغدو هو من أتباع تلك التي تبشّر بثقافة العري:

نهداي صلاة وخطيِّه   وثلوج ربيع ناريِّه
ثقِّفْ عينيك بعريهما   يا ذلَّ العين الأمِّيِّه



والأنف الذي نادرًا ما تغزَّل به الشعراء، أصبح مصدر وحي لديه ومصدر اعتزاز قوميّ:

أنفي وانْعَمْ بالتحديقِ   من قال: أنوف الإغريقِ
أين الإغريق وما نحتوا   من هذا النبل الفينيقي؟

أمّا الخدّان فهما زفاف الورد إلى الجمر، ومرايا تتعرّى على صفحتها الأسرار:

خدّاي ومُتْ يا نوّارُ   مسكينٌ جمرُكِ يا نارُ
خدّايَ مرايا أسرارٍ   تتعرَّى فيها الأسرارُ

وتختم نرسيسة مهرجان الجسد بسقوط الأوراق:

والآن سقوط الأوراق   وتثرثر ساقٌ عن ساقِ
ساقٌ ترجو ساقٌ تُرجى   والباقي.. سُبحانَ الباقي

وأدرك نرسيسةَ الصباحُ، فسكتت عن الكلام المباحْ
ونقع في غزل يونس الابن على طرائف تشهد للشاعر بأنّه زميل الخالق في الخلق والإبداع كما في قصيدته حاء باء:

في همسكِ لا. لا قبل   القبلة والأنفاس المرتجفه
طفل يتهجّى لفظةَ حبٍّ   قبل قليلٍ مُكتشَفه
حاءٌ بحَّاءُ حاوية   وَحوحةَ اللجّةِ في الصَّدَفه
والباء أتلفظها باءً   إن لم نُلصِقْ شفةً بِشَفه

ما من شكّ أنّ وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة، فضلاً عن القصائد التي غنّاها كبار المطربين، وفَّرت ليونس الابن شهرة واسعة؛ لكنّ طاقات الإبداع التي يختزن، لم يُتَح له أن يفجِّرها كاملة، ومردُّ ذلك إلى وطأة العمل الصحافيّ والعمل الإذاعيّ، كونهُما يربطان الإبداع الشعريّ بمُهَلٍ محدّدة تتنافى مع طبيعة الإبداع. وقد استطاع يونس الابن أن يتجاوز هذه المحنة بأقلّ قدر ممكن من الأضرار. وهو لو استثمر كلّ ما يملك من إمكانات موسيقيّة لجاء بالعجب العجاب.
في أحد أبياته يقول يونس الابن:

جُنِنتُ فكنتُ، كوني لي وجنّي   فإنِّي من هواياتي الخلودُ

صحيح أنّ الشهرة قد تتحقّق برمية نرد، وأنّ الثروة قد تُنال بصفقة مشبوهة أو بورقة لوتو، أمّا الخلود فإنّه من نصيب العباقرة وحدهم، وأنتَ قرعتَ باب الخلود بيد واثقة، فانفتح لك الباب على مصراعيه ورحَّب بك الخلود قائلاً: على الرَّحب والسَّعة، فأنت يا أبا لبنان ابني الحبيب، ابني الذي به سُرِرْتُ.



«مريم حامية الشرق»

في رسم وترنيم وتأمّل وصلاة وشعر

«مريمُ حامية الشرق..، معها وبشفاعتها، نستطيع أن نتجاوز الكثير من المخاطر، في لبنان وفي المنطقة كلّها.

*بهذه العبارة لرئيس الجامعة **الأب وليد موسى**، تمكن الإطلالة على الأنشطة المريميّة التي تولّاها مركز الدراسات المريميّة في الجامعة، بإدارة **الأب عبدو أنطون**، من ٢٧ أيار إلى ٦ حزيران ٢٠١٤.. ورعاها **المطران ميشال عون**، راعي أبرشيّة جبيل المارونيّة، الذي انتهى في كلمته إلى القول:* فإلى العذراء ملكة السلام تتّجه أنظارنا في هذه المناسبة الجميلة، وكلّنا شوقٌ أن يُتِمَّ الربُّ قصده فينا حين يجمع في المسيح كلّ شيء ممّا في السماوات وفي الأرض؛ وحين يزرع، بشفاعة مريم، سلامه وحبّه في العالم كلّه، وفي لبنان ليُصبح، بقوّة المحبّة والغفران، أرضًا جديدة وسماءً جديدة.

وعلى ما أوضح **الأب عبده أنطون** حول المعرض الفنيّ، فقد شارك فيه نحوُ ٩٠ فنّانًا من فئاتٍ فنيّةٍ وانتماءاتٍ دينيّة مختلفة، في نحوِ ٦٠ عملاً؛ وأمَّه، طوال أيّامِه، العديدُ من تلامذةِ المدارس، من منطلق أنّه تعليميٌّ وتأمّليّ إيمانيٌّ صلاتيٌّ في آنٍ معًا. يقول الأب عبده: بهذا المعرض، نحن أمام مشروع للتلاقي والعمل معًا، أمام صورة حقيقيّة للبنان.

وقد أضاف الأب الرئيس موسى قولَه: نحن، في هذه الجامعة، يومَ قرّرنا أن نصدرَ موسوعة «العذراء مريم في لبنان»، وقد خرج منها إلى النور عشرة أجزاء، كنّا نعلم أن لا شيء يعادل حضورَ هذه المرأة في حياتنا.. وإنّنا، ومع الأبوين قداسة البابا فرنسيس وغبطة البطريرك الراعي، سنبقى نصلّي، في سبيل حماية المسيحيّين والمسلمين في لبنان والشرق.

ولم يفت المطران عون التذكير بأنّ هذا المعرض يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمؤتمر الذي سبق ونظّمه المركز بهدف تبادل الخبرات في تكريم مريم، وإغناء الجماعات المريميّة، وتفعيل الحوار بين الديانتين المسيحيّة والإسلاميّة. فهو بالتالي يساعدنا على التأمّل في عظمة مريم ودورها في تاريخ الخلاص، ويدعونا إلى اتخاذها مثالاً لنا في إيمانها، والنظر إليها كصورةٍ للكنيسة في كمال دعوتها إلى القداسة.. يقينًا منّا أنّها ستبقى الشفيعةَ الفُضلى وحاميةَ الشرق وحاميةَ لبنان في هذه الظروف الدقيقة التي نمرّ بها.

.. إلى هذا،
فقد شهدت المساءاتُ: تراتيم مريميّة لجوقات إسلاميّة ومسيحيّة، ولقاء للجماعات التابعة للرهبانيّة المارونيّة المريميّة، وندوة حول مسبحة العائلة والإعداد للزواج، وحلقة شعريّة ضمّت: سناء غنوي- محمّد علّوش- ندى بجّاني- رياض حلاّق- عصام العريضي- جورج واكيم- داني صفير.













من حَصَاد العمل الرعويّ الجامعي

Easter retreat: ٢٩ - ٣٠ آذار ٢٠١٤

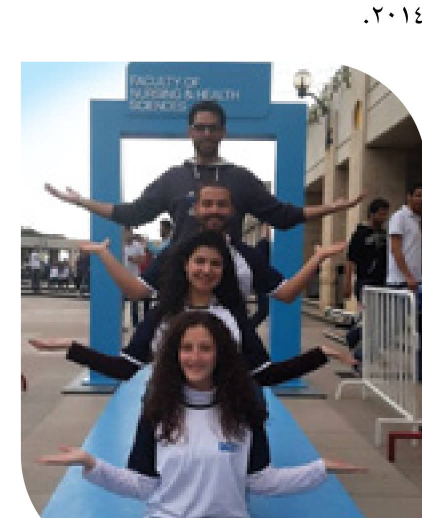
بعد مرور حوالى أسبوع على بدء الاحتفالات بالمئويّة الأولى لوفاة القدّيسة رفقا، كان العمل الرعويّ الجامعيّ NDU على موعد مع الرياضة الروحيّة لأعضائه، الّذين التقوا في دير دون بوسكو- الحصون تحتَ عنوان «احمِل صليبكَ وامشِ». تخلّل هذه الرياضة صلوات وسهرة توبة ومواضيع روحيّة تُساعد المُشتركين على التعمُّق بإيمانهم، ووقفة مميّزة للقدّيسة رفقا الّتي عشِقَت القربان الأقدس في سهرة السّجود. وكان ذلك في ٢٩-٣٠ آذار ٢٠١٤.





Open doors: ٤ نيسان ٢٠١٤

يتلقّى الشباب الكثير من الجامعة خلال العام الدراسيّ، خصوصًا بما تُقدّمه لهم من الاهتمام والتّنشئة الروحيّة والمُرافقة، ولذلك نجدهم ينتظرون الفرصة المُناسبة ليُعبِّروا لها عن مدى امتنانهم ومحبّتهم في كلّ مرّة تحتاج إليهم بخدمةٍ ما؛ وكما في كلّ عام يكونُ لهم حضورٌ مميّز في الـ Open Doors من خلال استقبالهم وإرشادهم لطلاّب المدارس.



Easter Mass: ١٦ نيسان ٢٠١٤

في ١٦ نيسان، احتفل المُرشد العامّ في الجامعة **الأب فادي بو شبل** بقدّاس الفصح المجيد، بمُشاركة آباء الجامعة والموظّفين والأساتذة والطلاّب، وأُقيمت رتبة تبريك الزيت. وممّا جاء في كلمته:

في هذا الأسبوع العظيم، تقف الكنيسة أمام الصّليب وتتأمّل في محبّة الآب اللامتناهية، الّذي، حُبًّا بالإنسان، بذل ابنَه الوحيد لتكون الحياة لكلّ مَن يؤمن به. فالصّليب إذًا يقودُنا إلى محبة الله الخلاصيّة.
إلاّ أنّ الله الّذي خلق الإنسان ليكون خالدًا،



لم يشأ موت الإنسان، وهنا لا أتكلّم عن الموت البيولوجيّ، إنّما عن الموت الكيانيّ الّذي يشمل الروح أيضًا. فموت الإنسان الحقيقيّ هو عندما يفقد الحياة الأبديّة. فالألم الحقيقيّ والأكيد إذًا هو فقدان الحياة الأبديّة.

فالآب بذَلَ الإبن الوحيد من أجل كلّ واحدٍ منّا ليدفع هذا الشرّ، أي هذا الألم الأكيد عنّا. ولذلك، أتت رسالة يسوع الخلاصيّة للتغلّب على الخطيئة من خلال دعوة الناس إلى العيش في حرّيّة أبناء الله والتغلّب على الموت من خلال الحياة الّتي أتاها ابنُ الله وهي حياةٌ وافرة.

يقول البابا بنديكتوس، بهذا الصدد، إنّ يسوع لم يُلغِ آلام البشر، بل ملأها بحضوره؛ أي أنّ الإنسان المتألّم المُتّحد بالمسيح، يعرف حقًّا أنّ يسوع متّحدٌ به، يتألّم معه لينتصر فيه.

وهذا ما نسمعه في كلام أيّوب الذي نحتفل هذا النهار بيومه (أي ١٩/٢٥-٢٦): «إنّي لعالمٌ بأنّ فاديَّ حيٌّ وسيقوم... ومن جسدي أعاين الله». والقدّيسة رفقا الّتي نحتفل بالمئويّة الأولى لانتقالِها إلى بيت الآب، خيرُ دليلٍ لنا كيف يعيش الإنسان المؤمن آلامه في هذه الدّنيا، ويعرف أن يُحوّلها باتّحاده بالمسيح، إلى قوّةٍ فدائيّة تُخلّصه وتُخلّص العالم معهُ.

.. في هذا العالم الّذي يعيشُ الحرب والتّهجير، والقتل والدّمار، والخوف والأمراض،

في هذا العالم الّذي يئنُّ رازحًا تحت أنواع وأنواع من الألم،

تبقى الدّعوة لنا نحن المسيحيّين أن نكون شركاء في آلام الفادي، الّذي «بذل نفسه عن خطايانا لُيَنجّينا من هذا العالم الشرّير» (غلا ١/٤).

لنُقدّم كلّ آلامنا اليوم مع آلام إخوتنا الّذي يُعانون في هذا العالم من أجل يسوع، ذبيحة مرضيّة، ذبيحة مُقدّسة، ذبيحة روحيّة.

لنكنْ حقًّا نحن شهود آلامه، شهود قيامته أيضًا؛ وهذا ما يقوله بولس الرّسول: «أعرف يسوع وقوّة قيامته، وأشترك في آلامه، وأتشبّه بموته، لعلّي أستطيع بلوغ القيامة من بين الأموات» (فيليبّي٣/١٠-١١).

لننظُرْ إلى صليب يسوع لكي تهون علينا كلّ الصّعاب في هذه الحياة...





Karaoke party: نيسان ٢٠١٤

لعيشِ جوٍّ من الرفاهيّة والفرح في حَرَم الجامعة، نظّم شبيبة العمل الرعويّ الجامعيّ karaoke night، شارَكَ فيها بعض أعضاء العمل الرعويّ الجامعيّ العامّ.

Workers party: ٢ أيّار ٢٠١٤

لمناسبة عيد العمّال، نظّم شباب العمل الرعويّ الجامعيّ غداءً على شَرَف العُمّال الأجانب في جامعتِنا، شارَكَ فيه الأب المُدبِّر جورج ناصيف ونائب الرئيس للشؤون الإداريّة الأب زياد أنطون بالحضورِ والصّلاة من أجل هؤلاء العمّال. وقد تخلَّل الحفل رقص وألعاب ترفيهيّة وتوزيع الهدايا، وذلك بالاشتراك مع Sponsorship Office.



Founders Day and Mass: ١٢ أيّار ٢٠١٤

لِمناسبة عيد الجامعة ٢٧، نظَّم العمل الرعويّ الجامعيّ القدّاس الإلهيّ الّذي ترأّسه نائب الرئيس للشؤون الإداريّة **الأب زياد أنطون**، وخدمتهُ الشبيبة بقيادة أليسّا لطّوف وبرفقة عازفة البيانو كلارا بشعلاني وعازف الساكسوفون إيليو نخلة؛ وممّا جاء في عظة الأب أنطون:

«يُخبِرُ سفر صموئيل الأوّل قصّة شاول البنيمّيني، وقد بعثه أبوه قيس ليبحث عن الأُتُن (الحمير) الضائعة. كان همّ شاول كيف يجد الأتن، لكنّ الله كان قدّ أختاره ليكون ملكًا على شعبه. ونحنُ نشبه شاول في علاقتنا مع الله، إذ غالبًا ما نغرق في هموم أرضيّة، ونريد تحجيم الله على قياسها. يستعملُ الله حاجاتنا البشريّة ليفتح قلبنا على أسرار ملكوته السماويّ. فعندما نطلب من الله أن يعطينا «خبزنا كفاف يومنا»، يفتح لنا أبواب كنز رحمته ومحبّته الإلهيّة، ويدعونا لنجلس معه إلى مائدة الملكوت، كما أجلس صموئيل شاول، رئيسًا إلى مائدة شيوخ إسرائيل».

أمّا بالنّسبة للاحتفال في ساحات الجامعة، فكان العنوان لهذه السّنة «كأس العالم»، وقد اختارَ شبابنا رقصة parade لفريق Colombia، ما حدا السفارة الكولومبيّة للمُشاركة العفويّة من خلال حضور عدد من موظّفيها بشكلٍ لافتٍ قرب الستاند المُخصّص لكولومبيا.

Weekend عام: ١٧ - ١٨ أيّار ٢٠١٤



لقاءٌ جمعَ أعضاء من العمل الرعويّ الجامعيّ NDU برفاقٍ لهم من كُلّ الجامعات في ويك أند روحيّ أُقيمَ في دير سيّدة ميفوق تحت عنوان «تعال... ها أنذا أجعلُ كلّ شيءٍ جديدًا» (رؤ ٢١/٥). وتخلّل اللقاء مواضيع روحيّة وسهرة سجود وتوبة وفقرات روحيّة.



العشاء السنويّ للعمل الرعويّ الجامعيّ العام: ٩ حزيران ٢٠١٤

للسنة الثالثة على التوالي أقام العمل الرعويّ الجامعيّ عشاءَهُ السنويّ الّذي يُشارك فيه عددٌ من الشباب الجامعيّ والأصدقاء، وكان لجامعتِنا حضورٌ جميلٌ ومميّز.





عيد القربان الأقدس: ١٩ حزيران ٢٠١٤

احتفل العمل الرعويّ في جامعة سيّدة اللويزة للمرّة التاسعة على التوالي بعيد القربان الأقدس مع النائب البطريركيّ العامّ على نيابة صربا المارونيّة المطران بولس روحانا بقدّاس خدمته جوقة الإخوة المبتدئين في الرهبانيّة المارونيّة المريميّة بإدارة الأب خليل رحمة، وفي حضور الرئيس العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة الأباتي بطرس طربيه، ورئيس الجامعة الأب وليد موسى، والمرشد العامّ الأب فادي بو شبل وجمهور المؤمنين.

المطران روحانا تحدَّثَ في عظته عن «أهميّة سرّ القربان الأقدس في الكنيسة وفي بنائها»، لافتًا إلى «البُعد الاجتماعيّ الذي يحمل من المحتفلين بهذا السرّ العظيم أن يلتفتوا لحاجات إخوتهم الفقراء والمهمَّشين والضعفاء».

وأشاد بـ «الجامعة التي تسعى لتقدُّمَ مع العلم والثقافة هذا البعدَ الروحيّ لنموّ شبابنا»، مهنّئًا بالتالي العمل الرعويّ الذي يسعى بكلّ جهدٍ ليشهد للمسيح في الوسط الجامعيّ حيث يعلن أنّ يسوع حيّ فينا. وأضاف أنّ «المحبّة التي يغدقها الله في القلوب هي وحدها القادرة على الشهادة والثبات في لبنان والشرق والعالم».

وختم بالإشارة إلى أنّ «المسير في تطواف ليس إلاّ ليذكّرنا أنّنا حجّاج على هذه الأرض، وأنّ الربّ يسير معنا».

وبعد القدّاس تمَّ التطواف بالقربان الأقدس في محطّتين: الأولى مع البابا القدّيس يوحنّا الثالث والعشرين بعنوان «دمُ المسيح»، والثانية مع البابا القدّيس يوحنّا بولس الثاني بعنوان «جسد المسيح».

وجوه

الإمام الأوزاعيّ
٧٠٧- ٧٧٤

ج. م.

هو عبدُ الرّحمنِ بنُ عَمروٍ، من قريةِ أُوزاع على بابِ دمشقَ من جهةِ بابِ الفراديس، وهي في الأصلِ البعيدِ اسمُ قبيلةٍ من اليمن نَزَلتْ بها واستوطنتها، يَنتهي نَسَبُها إلى حِمْيرَ. وقيل، على ما وردَ في معجم البلدان ودائرة المعارف الإسلاميّة، سُمِّي قاطنوها الأوزاع لأنَّهم قبائلُ شتّى.

أُهلُه الأبعدون نَزحوا إلى البقاع، واستوطنوا بعلبكّ، فوُلد الإمامُ فيها سنة ٧٠٧، لكنَّه حُرم مكانَه من نَعماءِ الأبوّة، وهو وَلدٌ، فانفردت به أمٌّ صابرةٌ، حَنتْ عليه بأضلاعٍ حِرارٍ، وراحت تخدمُ لتنفقَ عليه في متطلّباتِ العلم،.. وانتقلا، وهو يافعٌ، إلى بيروت.

ففي بيروتَ نزلَ مرابطًا بأهله وأولاده، وهو القائلُ: «وأعجبني في بيروتَ أَنّي مررتُ بقبورها، فإذا امرأةٌ سوداءُ في قبورها، فقلتُ لها: أين العَمَارةُ يا أختاه؟ فقالت: إن أردتَ العَمارةَ فهي هذه، وأشارت إلى القبور، وإنْ كنتَ تريدُ الخرابَ فأمامَك، وأشارت إلى البلد، فعزّت عليّ الإقامةُ فيها...»

وفي بيروت التي لم تكنْ سوى بلدةٍ صغيرةٍ متواضعةٍ يَحُفُّ بها سورٌ ذو أبراجٍ وأبواب، دُعي المواطنَ البيروتيَّ الأوّل...

فقد أكبَّ على درسِ الفقه، وعانقَ أصولَ المعرفة، وأصبحَ واسعَ الاطّلاع..

ومِمَّا يدلُّ على انقطاعِ الأوزاعيّ إلى العلم ما رواه حفيدُه عنه، قال: «من تعلَّم بابًا من العلم كان أفضلَ من عبادةِ حَوْلٍ يُصَامُ نهارُه ويُقامُ ليلُه».

وكان يردِّدُ أيضًا: «وإذا أراد اللهُ تَعالى بقومٍ شرًّا، فتحَ عليهم بابَ الجدل، وسَدَّ عنهم بابَ العلمِ والعمل».

ويَزيدُ على قولتِه هذه الدّعوةَ: «إنّ المؤمنَ يقولُ قليلاً ويعملُ كثيرًا، وإنَّ المنافقَ يقولُ كثيرًا ويعملُ قليلاً».

فالعلمُ عنده، على قولِ الشّافعيّ، ليس ما حُفظَ، إنّما العلمُ ما نَفَعْ.

وفيه قال أبو اسحق الغزاري: «كان .. «وكانت سلطتُه تفوقُ سلطةَ الخليفة»- كذا قال فيه ابنُ خِلّكان، وأبو الفداء، وصالحُ ابنُ يحي.

فهو إمامُ أهلِ الشّام. به أُعجب الخليفةُ المنصور، يومَ سمعه يخطبُ ببيروت، فأحبَّه، واستشاره، واستجابَ لندائه في افتداءِ مَن تردَّد في افتدائهم من الأسرى المسلمين لدى الرّومِ البيزنطيّين، وأَنزلَه أَرفعَ المنازلِ في دياره.. وإليه أَصغى يقول: «يا أميرَ المؤمنين، قال رسولُ الله صلعم: «أَيُّما عبدٍ جاءته موعظةٌ من الله في دينه فإنّها نعمةٌ من الله سيقت إليه، فإنْ قَبلَها.. بشُكرٍ وإلاَّ كانت حُجَّةً عليه من اللهَ تعالى ليَزدادَ بها إثمًا ويَزدادَ عليه بها سُخطًا». قَال رسولُ الله: «أَيُّما والٍ بات غاشًّا لرعيّته حَرَّم اللهُ عليه الجنَّة».

وأَصغى المنصورُ: «يا أميرَ المؤمنين، من كرهَ الحقَّ فقد كرهَ اللَه. إنَّ اللهَ هو الحقُّ المُبين... يا أَميرَ المؤمنين، قد كنتَ في شُغلٍ شاغلٍ من خاصّةِ نفسِك عن عامَّةِ النّاسِ الّذين أَصبحت مَلِكَهم، أَحمرهِم وأَسودِهم، مسلمِهم وكافرِهم، فكلٌّ له عليكَ نصيبُه من العدل... يا أَميرَ المؤمنين، رُضَّ نفسَك لنفسِك. خُذْ وخُذْ لها الأمانَ من ربِّك. يا أميرَ المؤمنين، إنَّ المُلكَ لو بقيَ لمَنْ قبلَك لم يَصِلْ إليك، وكذلك لا يَبقى لك كما لا يَبقى لغيرك».

ويتابع الإمام: «يا أَميرَ المؤمنين، بَلَغني عن عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رضي اللهُ عنه أَنَّه قال: «لو ماتت نملةٌ على شاطئ الفرات لَخشيتُ أَن أُسألَ عنها». فكيف بمَن حُرم عدلَك وهو على بساطِك؟ هل تدري ما جاء في تفسيرِ هذه الآيةِ عن جدِّك- يا داودُ إنَّا جعلناكَ خليفةً في الأرضِ فاحكُمْ بين النّاسِ بالحقِّ ولا تَتَّبعِ الهوى. قال داود: «إذا قَعَدَ اثنان بين يديك، فكان لكَ في أحدهما هَوًى فلا تُمَنِّيَنَّ في نفسِك أَن يكونَ له الحقُّ فيُفلحَ على صاحبه فأَمحوَك من نبوّتي». يا أميرَ المؤمنين، قد سألَ جدُّك العبّاسُ النبيَّ إمارةً على مَكَّةَ والطّائف، فقال له: «يا عبّاسُ يا عَمَّ النبيِّ، إمارةٌ تُحييها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها». هي نصيحةٌ منه لعمِّه، وشَفَقَةٌ منه عليه أَنَّه لا يُغني عنه من الله شيئًا...»

أَليس أَنَّها من أجملِ العظاتِ في التّاريخ، خلاصةَ حكمةٍ ومحبَّةٍ وقولِ حقٍّ وتنـزيهٍ عن الأهواءِ ودعوةٍ إلى ديمقراطيّةٍ صحيحةٍ مَبنيَّةٍ على الحفاظِ على حقوقِ الرّعيَّةِ وتقديرِ المسؤوليّات المُرَتَّبةِ على الحُكّام واجتنابِ الظّلمِ ومعرفةِ التّخلُّصِ من سطوةِ الأقرباءِ على قلبِ الحاكم؟!

إنّه الإمامُ الأوزاعيّ!

■■■■





كان الإمامُ الأوزاعيُّ يشدِّدُ على فكرةِ العدلِ والرِّفقِ والعطفِ، عندما كان الأمرُ يتعلَّقُ بغير المسلمين، ففاقَ سائرَ فقهاءِ المسلمين بما أَظهرَ من نبلِ العاطفة في دعوته إلى الأُخوّةِ الإنسانيّة.

فمعاصرُه العراقيُّ أبو حَنيفه، مؤسِّسُ المذهبِ الحنفيِّ، الّذي يُعْتَبرُ من أكثرِ المذاهبِ الإسلاميّةِ سَمَاحةً وتحرّرًا، قد يَتَغاضى عن قطعِ النّخيلِ وغيرِه من الأشجارِ عند مقاتلةِ المشركين،.. لكنّ الأوزاعيَّ، الفقيهَ اللبنانيّ، على ما يقولُ فيه الطَّبَريّ في كتابه «اختلافُ الفقهاء»، يمنعُ عملاً كهذا، ويدعو القادةَ إلى أن يحافظوا على العمران، فلا يَهدِموا القرى، ولا يقطعوا الأشجارَ، ولا يَعقِروا الحيوان.

ولقد سُئل الأوزاعيُّ عن الأعمى في أرضِ الرّوم: أيُقتلُ؟ قال: لا. ولا يُقتلُ جَوّابٌ، ولا راعٍ، ولا صاحبُ صومعةٍ، ولا شيخٌ فانٍ.

ويختلفُ عن أبي حنيفة باجتهادِه في الرِّبا، فيحرِّمُه على المسلمِ في أرضِ الحربِ وغيرِها. أمّا أبو حنيفة فيُحِلُّه في أرضِ الحرب، لأَنَّ أحكامَ المسلمين لا تَجري عليهم.

وخلافًا لأبي حنيفة، الّذي يَعتبرُ أرضَ الرّجلِ الّذي دخلَ في الإسلام، إذا كان هذا الرّجلُ يقطنُ بلادًا وَقعتْ فيها الحربُ بين المسلمين والمشركين، داخلةً ضمن الغنائم،.. فإنَّه كان لا يُقِرُّ هذا الرّأيَ، ولاسيَّما إذا كان الدّاخلُ في الإسلامِ من النّصارى أو اليهود. وفي رأيِ الأوزاعيّ أَنَّ الذّميَّ، إذا حاربَ في صفوفِ المسلمين، يجبُ أن تكونَ حصّتُه من المغانمِ حصَّةَ المسلم.

وما كان الأوزاعيّ ليقرَّ قتلَ الرّهائنِ، بل يقولُ بأنّ نَكْثَ العهدِ يجبُ ألاّ يُقَابَلَ بنَكثِ العهد، بل بالمروءةِ والشّهامة.

من ذلك يتَّضحُ مدى التّسامحِ في تعاليمِ الأوزاعيّ، وروحُ التّحرّرِ والمساواةِ والتّساهل.

وللأقوياءِ، منه، مَثَلُ عمرَ بنِ عبدِ العزيز مع أهلِه، فيقول: «إنّ عمرَ عبدَ العزيز كان جالسًا، وعنده أَشرافُ بني أميّة، فقال لهم: أَتحبّون أن أُوَلّيَ كلَّ رجلٍ منكم جُندًا؟ فقال رجلٌ منهم: لمَ تَعرضُ علينا الأوزاعيّ رجلَ عامَّةٍ، ولو خُيِّرتُ لهذه الأمّةِ لاخترتُ لها الأوزاعيّ»، يَعني إمامًا وخليفة.

والحقيقةُ أنّه كان إمامَ بيروتَ وقاضيَها.

وقد شاع مذهبُه في لبنانَ وسوريا، وأخذَ به الفقهاءُ والقضاةُ على مدى قرنين، أي إلى أن حلَّ محلَّه المذهبان الحنفيُّ والشّافعيّ.

ومن لبنانَ وسوريا انتشر مذهبُ الأوزاعيّ إلى المغرب والأندلس، حيث ظلَّ الفقهاءُ يأخذون به مُدَّةَ أربعينَ سنةً، أي إلى أن حَلَّ محلَّه المذهبُ المالكيّ.

أَمَّا كيف أَفضى إلى ربّه، فهناك روايتان:

- الأولى لابن عساكر من «تاريخ دمشق»، وفيها أَنّ الإمامَ دخل الحمّامَ، فتشاغلَ عنه صاحبُه وذهبَ بعد أن أغلقَه عليه، ثمّ عاد فوجدَه ميتًا، وقد وضعَ يدَه اليمنى تحت خدِّه، وهو مستقبلُ القِبلة.
- والرّوايةُ الثّانيةُ لعُقبة بنِ عَلقمه البيروتيّ، وهو معاصرٌ للأوزاعيّ وشهدَ وفاتَه في يومٍ قارسٍ من شتاءِ سنة ٧٧٤، وهو الموافقُ الخامسَ عشرَ من كانون الثّاني؛ وبها يقولُ أبو مَسْهر، ومفادُها أَنّ امرأتَه أَغلقتْ عليه بابَ الحَمَّام غيرَ عامدةٍ، ومعه كانونٌ فيه جمرُ فحمٍ للتّدفئة، فإذا الفحمُ غالبٌ فمُميت. وقد وجدته امرأتُهُ ملقىً على الأرض، ووجهُه نحو القِبلة.

ومن أندرِ ما تردَّدَ حول موتِه حديثُ محمّدٍ بن عُبيد الطَنَافسيّ، وقد كان جالسًا عند سفيانَ الثّوريِّ، فجاء رجلٌ وقال: رأيتُ البارحةَ كأنّ ريحانةً رُفعت إلى السّماءِ من ناحيةِ الغربِ حتّى توارت في السّماء. فقال الثّوريُّ: إنْ صَدَقتْ رؤياك فقد ماتَ الأوزاعيّ.

وكان أَن ماتَ الأوزاعيُّ حقًّا في تلك الليلة.

أمّا الثّروةُ التي خلَّفها فكانت سبعةَ دنانير، كانت لتجهيزِه،.. ذلك أَنَّه أنفقَ أموالَه في سبيلِ الله والفقراءِ والبائسين.

وقد دُفن عند كثبانِ الرّملِ التي تَقعُ على الشّاطئ جنوبيَّ بيروت.

ومَقامُه أحدُ المقاماتِ القليلةِ التي لا تزالُ قائمةً إلى يومِنا هذا في بيروت، في المحلّةِ المعروفةِ باسمه «الأوزاعيّ»!

ومن أروعِ ما قيل ما رواه عبدُ الحميد بنُ أبي العشرين من أنّه سمعَ أميرَ السّاحلِ يقولُ: رَحِمَكَ اللهُ أبا عمروٍ، فواللهِ لقد كنتُ أخافُك أكثرَ من الّذي ولاَّني.

■■■■





ما لا تَفعلُه. قال: أتَرَون بساطي هذا، إنّي لأَعلمُ أنَّه يَصيرُ إلى بَلاءٍ وفناء، وإنّي أكرهُ أن تُدنّسوه بأرجلِكم، فكيف أُولّيكم أعراضَ المسلمين وأبشارَهم؟ قالوا: أما لنا قرابةٌ، أما لنا حقٌ؟ قال: ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين، عندي، في هذا الأمر، إلاّ سَواء».

وكان يقولُ دومًا: «لا يُصلِحُ الرّعيَّةَ السّيفُ، بل يُصلِحُهم العدلُ والحقّ». فعندما شبّتْ أولى الثّوراتِ في لبنان عام ٧٥٩- ٧٦٠، في بلدةِ المنيطرة، وهي ثورةٌ مسيحيّةٌ هذه القرية ضدّ تعسُّفِ عاملِ العبّاسيّين وجَورِه، صالحِ بنِ عليٍّ، الّذي انتصر له أخوه القائدُ العامُّ للجيوشِ العبّاسيّة بردّةِ فعلٍ بالغةِ العنف، كان للإمام الأوزاعيّ موقفٌ صريحٌ وصارم، فكتبَ إلى الخليفةِ يقول:

«وقد كان من إجلاءِ أهلِ الذّمّةِ من جبلِ لبنان، مِمَّن لم يكنْ ممالئًا لمن خَرجَ على خروجه، ممَّن قتلتَ بعضَهم ورددتَ باقيَهم إلى قراهم، ما قد علمتَ. فكيف تؤخَذُ عامّةٌ بذنوبِ خاصّة، حتّى يَخرجوا من ديارِهم وأموالِهم، وحكُمُ الله تعالى أنْ لا تَزرَ وازرةٌ وِزرَ أخرى. وهو أحقُّ ما وقفَ عنده واقتدى به. وأحقُّ الوصايا أن تُحفظَ وتُرعى وصيّةُ رسولِ الله (صلعم)، فإنّه قال مَن ظَلَمَ مُعاهدًا وكلّفه فوق طاقتِه فأنا حَجيجُه».

وعندما نكَّل العبّاسيّون بالأمويّين، سألوا العلماءَ نصرتَهم، فخافوا، إلاّ الإوزاعيّ، فأُدخلَ المجلسَ الحربيَّ بين السّيوف، فبادره الأميرُ عبدالله بنُ عليّ: «أنتَ عبدُ الرّحمن بنُ عمروٍ الأوزاعيّ؟ أجابه الإمامُ: نعم، أصلحَ اللهُ الأمير. قال: ما تقولُ في دماءِ بني أميّة؟ أجابه الأوزاعيّ: قد كان بينك وبينهم عهودٌ، وكان ينبغي أن يثقوا بها. قال: ويحَك اجعلْني وإيّاهم لا عهدَ بيننا. أجابه الأوزاعيُّ غيرَ واجلٍ: دماؤهم عليك حَرامٌ. غَضبَ الأمير واحمرّت عيناه وقال: ويحَك ولِمَ؟ أجابه الأوزاعيّ من فَورِه: قال رسولُ الله (صلعم): لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلاّ بإحدى ثلاث: ثَيِّبٌ زانٍ، ونفسٌ بنفسٍ، وتاركُ دينِه».

هذا هو الأوزاعيُّ لا يهابُ الموتَ في سبيلِ الحقِّ، وقولِه حرًّا جريئًا.. بل هو ما يُروى من أنّ أحدَ الولاةِ هدَّده مرَّةً، فقال له أصحابُه: دعْه، فوالله لو أمرَ أهلَ الشّامِ أن يقتلوك لقتلوك!

▪▪▪▪

وللأوزاعيِّ مناظراتٌ مع كبارِ فقهاءِ زمانِه. الحَميدي يَروي، وغيرُه أيضًا، أنَّ مالكًا تذاكرَ والأوزاعيَّ، مرَّةً في المدينة، من الظُّهر حتّى المغرب، ففاقه الأوزاعيُّ في المغازي، وفاقه مالكٌ في شيءٍ من الفقه.

ومن أطرفِ مناظراتِه ما حصلَ له مع الرّجلِ القدريّ، عندما بعثَ إليه الخليفةُ الأمويُّ هشامُ بنُ عبدِ الملك ليناظرَه. فقال الأوزاعيّ للقدريّ: اخترْ إنْ شئتَ ثلاثَ كلمات، وإنْ شئتَ أربعًا، وإنْ شئتَ واحدة. فاختار القدريّ ثلاثًا، فقال له الأوزاعيّ: أخبرْني عن الله، هل قضى ما نَهى؟ فقال القدريّ: ليس عندي في هذا شيء.

> «إنّ النَظرةَ اللبنانيّةَ الشّاملةَ، والروحَ اللبنانيّةَ السَمْحةَ، تتجسّدان في سَماحةِ روحِ الأوزاعيّ، وفي نبلِ أخلاقه».

فقال الأوزاعي: هذه واحدة. ثمّ قال الأوزاعيّ: أخبرْني عن الله، حالَ دون ما أمر؟ قال القدريّ: هذه أشدُّ من الأولى، ما عندي في هذا شيء. فقال الأوزاعيّ: هاتان اثنتان يا أميرَ المؤمنين. فقال الأوزاعيّ: أخبرْني عن الله، هل أعانَ على ما حرّم؟ فقال القدريّ: هذه أشدُّ من الأولى والثّانية، ما عندي في هذا شيء. عندئذٍ قال هشامٌ للأوزاعيّ: فسِّرْ لنا هذه الكلمات. قال: أما تعلمُ يا أميرَ المؤمنين أنّ اللهَ تعالى قَضى على ما نَهى؟ نهى آدمَ عن الأكلِ من الشّجرة، ثمّ قضى عليه بأكلِها فأكلَها. ثمّ أما تعلمُ أنَّه حالَ دون ما أمر؟ أمرَ إبليسَ بالسّجودِ لآدمَ، ثمّ حالَ بينه وبين السّجود. ثمّ أما تعلمُ أنَّه أعانَ على ما حرّم، المِيتة والدّم ولحم الخنـزير، ثمّ أعانَ عليه بالاضطرارِ إليه؟

ولقد تخرَّجَ على الإمامِ الأوزاعيّ علماءُ أعلامٌ، منهم في بيروت: الوليدُ بنُ مزيد العذريّ البيروتيّ، وأبو الفضلِ العبّاسُ بنُ الوليدِ البيروتيّ..

وكان مجلسُه وطلاّبَه في الزّاويةِ المشهورةِ باسمه في سوقِ الطّويلة!

وله كتابا السُّنَن والمسائل.

▪▪▪▪

في الإمام الأوزاعيّ، يقول **فيليب حتّي**: «إنّ النظرةَ اللبنانيّةَ الشّاملة، والروحَ اللبنانيّةَ السَمْحة، تتجسّدان في سَماحةِ روحِ الأوزاعيّ، وفي نبلِ أخلاقه».

وفيه، يقول **كمال يوسف الحاج**: «إنّ الأوزاعيّ يعكسُ بكلِّ صدقٍ الذّاتيّةَ اللبنانيّةَ القائمةَ على الجمعِ بين الفكرِ والعمل... وكان ذلك الإنسانَ الزّاهدَ، المتديّنَ، المتعبّدَ، العارفَ للحياة، يعيشُ مآسيَها في مشاكلِ مجتمعه».

وقال فيه **أنطون قازان**: «هذا اللبنانيُّ العظيمُ حُلُمٌ من أحلامِ المؤمنين، يتبرّكون منه في غَمْرِ الفضيلةِ والحقِّ والعلم... اتّسعَ قلبُه للنّاسِ أجمعين كما تتّسعُ السّماء. وإذا تاقتِ الشّعوبُ المعاصرةُ وسعتْ إلى تعاونٍ إنسانيٍّ حَلمتْ به على مدى الأيّام... فما كان الكونُ في نظرِه إلاّ تلك العائلةَ البشريّةَ الّتي راح يرعاها بحنانه ورفقه وسماحه، فيكتبُ لها جميعًا، لا لفئةٍ من أبناءِ زمانِه ولا لجيلٍ من الأجيال».

.. وإنّا إلى مِثْلِ الأوزاعيّ إمامًا في الدّين والدّنيا، عَوَزُنا اليوم!



علاقة الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة بالكرسيّ الرّسوليّ

الأب فرنسوا عقل
مدير فرع الشّوف- جامعة سيّدة اللويزة


الأب فرنسوا عقل

تمهيد

تشبه العلاقة بين الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة والكرسيّ الرّسوليّ علاقة الإبن بأمّه، لا اليد بالرّأس. إنّها شراكة إيمان بين كنائسَ أنشأتها العناية الإلهيّةُ عبر بطرس والرّسل؛ تجمعها المحبّة الصّادقة، ويوحّدها الحبر السّماويّ عبر الحبر الرّومانيّ، كي لا تقع إحداها بتجربة الاستعلاء أو يصاب بعضها بصنميّة التّماهي أو كارثة الذّوبان أو سياسة «نفّذ ثمّ اعترض». بل هي شركة حبّ أنضجها التّاريخ، ومحّصتها التّجارب، وصقلتها الثّقافة، وخمّرها اللاهوت، وجمّلتها الليتورجيا، وأغنتها فلسفة الوحدة بالتّنوّع.

يهدف هذا البحث المقتضب، إلى رصد حركة تطوّر ذلك الرّابط المقدّس، عن طريق استقراء بعض الوثائق الكنسيّة ذات الصّلة، وبخاصّة تلك الوثيقة المجمعيّة المعروفة باسم «الكنائس الشّرقيّة»، وهي قرار مجمعيّ له من العمر خمسون سنة، صدر عن أعمال المجمع الفاتيكانيّ الثّاني في ٢١ تشرين الثّاني عام ١٩٦٤، إذ تنظر الكنيسة الكاثوليكيّة عبر توصياته العميقة، نظرة تقدير وتكريم، لما أسمته بمؤسّسات الكنائس الشّرقيّة، وما تتميّز به هذه الأخيرة من تراث كنسيّ عريق في القدم، يشمل رتبًا طقسيّة رائعة، وتقاليدَ كنسيّةً خاصّة، ونظامَ حياةٍ مسيحيّة فريد، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالثّقافة المحليّة، وصخب التّاريخ، وأبعاد الجغرافيا... كما يؤلّف جزءًا لا يتجزّأ من تراث الكنيسة الجامعة، الموحى من الله (ك ش ١).(١)

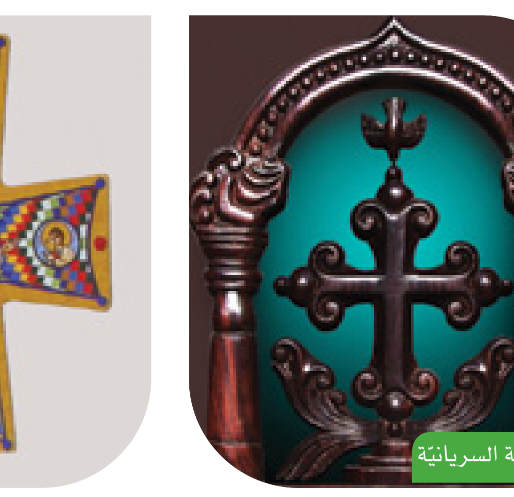
من يطّلع على النّصّ المجمعيّ المذكور، ربّما تختلط عليه في البداية بعض العبارات الشّموليّة التي تتطلّب توضيحًا بل تحديدًا للكلمات. فهو يتحدّث عن الكنائس الشّرقيّة عمومًا، إلاّ أنّ المقصود فعلاً، تلك الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة فقط، لطاعتها لحكم قداسة البابا الكنسيّ؛ رغم أنّه كان من الأفضل -في نظرنا- تحديد مثل هذه «الكلمات التّقنيّة» تحديدًا مباشرًا في النّص عينه، لأنّ عبارة «الكنائس الشّرقيّة» بمعناها الواسع، تشمل أيضًا الكنائس الأرثوذكسيّة، وهي ليست معنيّة في هذا القرار، لعدم ارتباطها بحكم الحبر الرّومانيّ الرّعويّ (ك ش ٣). ونظرًا لما تتطلّبه المنهجيّة البحثيّة من تحليل فكريّ وتماسك منطقيّ بنّاء، يجدر بنا أوّلاً التّبحّر قليلاً في طبيعة الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة، والمؤسّسات البطريركيّة، ومن ثمّ وصف علاقتها بالأب الأقدس والكرسيّ الرّسوليّ من أجل فهم حقيقة ما يرمي إليه البحث الذي نحن بصدده.

I. الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة

هي تلك الكنائس المتّحدة بصورة كاملة مع الكرسيّ الرّسوليّ. بيد أنّ هذا الاتّحاد لا يعني أبدًا التّخلّي عن الفكر اللاهوتيّ المشرقيّ، والطّقس الليتورجيّ، والتّراث العريق، والتّقاليد القديمة، والثّقافة الخاصّة بتلك الكنائس، بل تتميم مشيئة الله بأن نكون واحدًا. تمايز الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة والكنيسة اللاتينيّة في ما بينها، من خلال طقوسها وأنظمتها الكنسيّة وتراثها الرّوحيّ فقط، لكنها تخضع جميعها لسلطة الحبر الرّومانيّ الرّعويّة، نائب السّيّد المسيح على الأرض، وخليفة القدّيس بطرس في الأولويّة على الكنيسة الجامعة. وهي تتمتّع بكرامة متساوية، بحيث أنّه ليس لواحدة منها أن تتقدّم على الأخرى بسبب طقسها، بل تنعم بالحقوق عينها، وعليها الواجبات ذاتها.

تتفرّع الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة من خمسة تقاليد كبيرة: التّقليد القسطنطينيّ والإسكندريّ والإنطاكيّ والأرمنيّ والكلدانيّ.

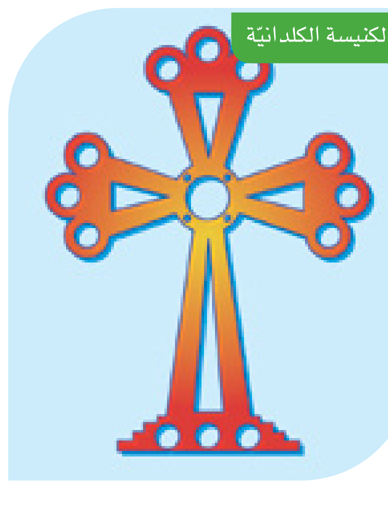
ثمّة أكثر من عشرين كنيسة شرقيّة كاثوليكيّة في العالم اليوم، أهمّها الكنائس البطريركيّة: كالكنيسة القبطيّة الكاثوليكيّة في مصر، والسّريانيّة الكاثوليكيّة والسّريانيّة المارونيّة، والملكيّة، والكلدانيّة والأرمنيّة الكاثوليكيّة. كما أنّ هناك كنائس تابعة لرؤساء الأساقفة الكبار، كالكنيسة الأوكرانيّة والسّيرو- ملاباريّة، والسّيرو- ملنكاريّة في الهند، والكنيسة الرّومانيّة والإيطالو- كلابريّة في جنوب إيطاليا وهي ذات تقليد بيزنطيّ... إنّه حقًّا «لتنوّع عجيب عرف به الله أن يصنع من حجيرات مختلفة فسيفساء هكذا جميلة ومتنوّعة»، على ما قاله البابا الطوباويّ يوحنّا بولس الثّاني في رسالته الرّسوليّة نور الشّرق.(٢)


الكنيسة القبطيّة


الكنيسة السريانيّة

الكنيسة المارونيّة


الكنيسة الملكيّة


الكنيسة الكلدانيّة


الكنيسة الأرمنيّة

II. المؤسّسة البطريركيّة

من أجل فهم جوهر العلاقة بين الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة والكرسيّ الرّسوليّ فهمًا صحيحًا، ينبغي التّوقّفُ أمام أهمّية ما أسمته وثيقة «الكنائس الشّرقيّة» بالمؤسّسة البطريركيّة القائمة في الكنيسة منذ العصور القديمة. هذا ما تبنّته أيضًا، بل ردّدت صداه مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة حين ذكرت وذكّرت أنّ المؤسّسة البطريركيّة قائمة في الكنيسة بحسب تقليد كنسيّ موغل في القدم اعترفت به المجامع المسكونيّة الأولى (ق. ٥٥)(٣).

يستنتج من يستقرئ التّاريخ الكنسيّ الطّويل، أنّ في القرن الميلاديّ الأوّل قام رسل السّيّد المسيح- بإلهام من الرّوح القدس- بتأسيس الجماعات المسيحيّة الأولى، متولّين إدارتها بأنفسهم إلى جانب مجلس من «تلاميذهم»؛ وقد برزت عبارة «أسقف» Episcopos قبل بدء القرن الثّاني، إذ وردت في رسائل القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ بمعنى «الحارس» أو «المراقب»(٤) ، أي حارس كرم الرّبّ والسّاهر على قطيعه؛ وهو بالتّالي الرّجل الذي يعنى بالمؤمنين.(٥)

ومع تعدّد «التّجمّعات الكنسيّة» ولدت فكرة «المتروبوليت الكبير» لإدارة شؤون الأبرشيّة، وقد عرف أيضًا باسم إكسرخوس Exarchus (ليس بمفهومه القانونيّ الحاليّ). غير أنّ بعض الكنائس في مرحلة ما بعد الرّسل، قد تمتّعت بامتيازات خاصّة، بسبب أصولها الرّسوليّة، أو نظرًا لأهمّيّتها التّاريخيّة أو

المدنيّة أو السّياسيّة(٦)؛ إلى أن مُنح أساقفة الاسكندريّة وروما وأنطاكية ونواحٍ أخرى في مجمع نيقيا الأوّل (٣٢٥) اعتبارًا كَنسيًّا أهمّ من وظيفة المتروبوليت والأسقف العاديّ(٧)، بحسب ما ورد في القانون السّادس، من أعمال المجمع المذكور:

«...فليحافظ على العرف القديم المُتّبع في مصر وليبيا والمدن الخمس؛ وليُمنَح أسقف الإسكندريّة سلطانًا على كلّ تلك المقاطعات، كما العرف القائم بالنّسبة إلى أسقف روما. وكذلك في أنطاكية والنّواحي الأخرى، فلتُحفظ للكنيسة امتيازاتها»(٨).

ثمّ ظهرت عبارة «بطريرك» في المصطلحات القانونيّة القديمة للمرّة الأولى مع الإمبراطور تيودوسيوس الثّاني (٤٠١-٤٥٠)، في كتابه «الحوليّات» ١٠٩ و١٢٩، إلى أن اتّخذت طابعًا مؤسّستيًّا مع الإمبراطور يوستينيانوس الأوّل (٥٢٦-٥٦٥)، في كتابه «الحوليّات» ١٢٣، الذي كرّس الكراسي المشار إليها للهرميّات الكنسيّة(٩). فمُنح بذلك أساقفة الكراسي الخمس الكبرى (روما، القسطنطينيّة، الاسكندريّة، أنطاكية وأورشليم)، لقب «بطريرك».(١٠)

تقوم المؤسّسة البطريركيّة إذًا، بصورة خاصّة، على هرميّة كنسيّة محلّية يرأسها البطريرك الشّرقيّ، وهو بحسب نصّ القرار «الكنائس الشّرقيّة» أسقف له حقّ الولاية على كلّ الأساقفة، بمن فيهم رؤساء الأساقفة، وعلى الإكليروس والمؤمنين في ولايته أو طائفته مع «المحافظة دائمًا على سلامة أولويّة الحبر الرّومانيّ» (ك ش ٧). إنّ النّصّ المجمعيّ بوصفه العامّ للسّلطة البطريركيّة، يعترف بحقوق كبيرة وواسعة للبطريرك قد حُجبتْ عنه بعضها فيما بعد بمجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة.

وعليه، يدعو النّصّ إلى واجب إحاطة بطاركة الكنائس الشّرقيّة بإكرام خاصّ، لأنّهم يرأسون بطريركيّاتهم الخاصّة كآباء ورؤساء. إنّ عبارة «الأب والرّأس» جميلة جدًّا، وقد وردت للمرّة الأولى في قانون ٢١٦ § ١، من «الإرادة الرّسوليّة» Cleri sanctitati. كما يُعتبر السّلطان البطريركيّ وحدة متآلفة ومتكاملة، تشمل سلطان الدّرجة الذي يُمنح بفعل السّيامة المقدّسة Ordinatio وسلطان الولاية «in sacris Potestas iurisdictionis الذي يهدف إلى تقديس شعب الله في الكنيسة، «مجتمع المؤمنين» Societas fidelium. وقد استفاضت القوانين الكنسيّة المرعيّة الإجراء بالحديث عن البطريرك ومجلس الأساقفة، وبتحديد صلاحيّاتهم وحقوقهم وواجباتهم.

III. علاقة الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة بالحبر الرّومانيّ:

هو أسقف الكنيسة الرّومانيّة، ورأس جماعة الأساقفة، ونائب المسيح، وراعي الكنيسة جمعاء على الأرض. له بحكم فعل مهمّته ملء السّلطات



العاديّة والعليا والكاملة والمباشرة والعامّة في قلب الكنيسة، وله أن يمارسها دائما بحرّيّة (ق. ٤٣). وتجدر الإشارة إلى أنّ السّلطة العاديّة تدعى هكذا في المصطلح القانونيّ الكنسيّ لارتباطها بأولويّة الحبر الرّومانيّ على الكنيسة الكاثوليكيّة برمّتها، كما أنّ السّلطة العليا تعني تقدّمه على جميع أعضاء الهرميّة الكنسيّة الكاثوليكيّة شرقًا وغربًا، أمّا السّلطة الكاملة فهي توليه ملء سلطان التّعليم والتّقديس والتّدبير في كنيسة الله الكاثوليكيّة(١١) بحكم انتخابه الشّرعيّ كأسقف في الكنيسة وإبداء قبوله لهذا الانتخاب مع الرّسامة الأسقفيّة (ق. ٤٤- البند ١). فالبابا هو الرّاعي الأعلى للكنيسة الكاثوليكيّة كلّها، مع اتّحاده الدّائم بالشّركة والأساقفة الآخرين؛ مع لفت الانتباه إلى حقّه في تحديد الطّريقة الشّخصيّة أو الجماعيّة لممارسة هذه المهمّة بحسب احتياجات الكنيسة (ق. ٤٥ — البند ٢).

لا بدّ من التّنويه أيضًا، بأنّ صلة الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة بالأب الأقدس هي موضوع اتّحاد تامّ وشراكة كاملة، لأنّه لا يمكن للمرء أن يكون كاثوليكيًّا من دون الاعتراف بأولويّة الحبر الرّومانيّ على الكنيسة والطّاعة له. ثمّة نصّ مجمعيّ مارونيّ تاريخيّ- على سبيل المثال لا الحصر- يعود إلى المجمع البطريركيّ المنعقد عام ١٥٨٠ يتحدّث عن الحبر الرّومانيّ كالآتي: «إنّ البابا وضحت أوضحت هو رأس لجميع الكنائس المسيحيّة وأبو ومعلّم كافّة المسيحيّين ورأس جميع البطاركة... يرعى ويدبّر ويرشد البيعة العامّة... والسّيّد البطريرك بدوره يرسل قاصده إلى المدينة المعظّمة الرّومانيّة ليؤدّي الطّاعة للحبر الأعظم وللكرسيّ الرّسوليّ عن البطريرك والأساقفة وجميع الإكليروس والشّعب كما هي العادة(١٢). ممّا يوضح جليًّا علاقة الكنيسة المارونيّة برأس الكنيسة المنظور بوجه خاصّ؛ وما ذلك إلاّ نموذج عن نظرة الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة جميعها إلى الحبر الرّومانيّ واحترامها لهرميّة الكرسيّ الرّسوليّ. والجدير بالذّكر أنّ المجمع الفاتيكانيّ الثّاني قد سلّط الضّوء على حتميّة الاتّحاد بين الأساقفة والبابا، وساهم في مسألة تنظيم العلاقة أكثر فأكثر بين الكنائس





الشّرقيّة الكاثوليكيّة والبابويّة، على مستوى بطاركتها وأساقفتها، واللقاءات المتعدّدة مع رأس الكنيسة الكاثوليكيّة، والاجتماعات الخاصّة، وزيارة الأعتاب الرّسوليّة، وفقًا لما نصّت عليه القوانين الكنسيّة.

IV. العلاقة مع الكوريا الرّومانيّة:

الكرسيّ الرّسوليّ هو مركز السّلطة الكنسيّة العليا بالنّسبة إلى جميع الكاثوليك في العالم، وهو يتمثّل بقداسة البابا بمعاونة بعض الكرادلة، والأساقفة، والكوريا الرّومانيّة المؤلّفة من المجامع، والمجالس، واللجان الحبريّة، والمحاكم، وبعض المؤسّسات الفاتيكانيّة الأخرى.

أ. مجمع الكنائس الشّرقيّة

بما أنّ للكاثوليك الشّرقيّين وبطاركتهم وإكليروسهم مكانة خاصّة في قلب الكرسيّ الرّسوليّ وصلب اهتماماته، أنشأ الأحبار الأعظمون دائرة حبريّة خاصّة، تُعنى بشؤون كنيسة المشرق والمؤمنين الكاثوليك من ذوي الطّقوس الشّرقيّة المتنوّعة، فتهتمّ بأحوالهم وقضاياهم؛ وبالرّغم من تبدّل اسم تلك الدّائرة عبر التّاريخ وتعديل صلاحيّاتها وتوسيع مهامها، فهي لم تتوانَ يومًا عن القيام بواجباتها نحوهم على مختلف الأصعدة.

يعود أصل مجمع الكنائس الشّرقيّة إلى السّادس من كانون الثّاني عام ١٨٦٢. إلاّ أنّ البابا بولس السّادس أطلق عليه، عام ١٩٦٧، اسم «مجمع الكنائس الشّرقيّة» Congregatio pro Ecclesiae Orientali. إنطلاقًا من «الحفاظ على حقّ الحبر الرّومانيّ الذي لا يتغيّر من ناحية التّدخّل في بعض القضايا» Salvo inalienabili Romani Pontificis iure in singulis casibus interveniendi على حدّ قول المجمع الفاتيكانيّ الثّاني (ك ش ٩)، يعاون مجمعُ الكنائس الشّرقيّة قداسةَ البابا في العناية بشؤون الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة، وهو يحلّ في المرتبة الثّانية بعد مجمع العقيدة والإيمان بالنّسبة إلى التّراتبيّة الفاتيكانيّة، رغم أنّ المجامع والمجالس الحبريّة هي متساوية عمومًا، من النّاحية القانونيّة.

يُعتبر هذا المجمع بمثابة السّلطة العليا أو المرجعيّة العليا لكلّ الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة، وهو يمارس سلطته على الأشخاص والأشياء؛ إذ له، بحكم القانون الكنسيّ على البطريركيّات والأبرشيّات والأساقفة والإكليروس والرّهبان والرّاهبات والعلمانيّين من الطّقوس الشّرقيّة الكاثوليكيّة، الصّلاحيّات عينها التي لمجمع الأساقفة ولمجمع مؤسّسات الحياة المكرّسة ومنظّمات الحياة الرّسوليّة، ولمجمع التّربية الكاثوليكيّة على الكاثوليك ذوي الطّقس اللاتينيّ.

يحتفظ المجمع ببعض اللجان، نذكر منها «لجنة الدّراسات حول الشّرق المسيحيّ»، وهي تهدف إلى دراسة الوثائق والمبادرات التي بإمكانها أن تعرّف الشّرق المسيحيّ إلى الكاثوليكيّة الغربيّة، ومواصلة التّعمّق بالأبحاث حول تراثات تلك الكنائس الشّرقيّة، وهذا ما يقوم به كبار البحّاثة والمستشرقين واللاهوتيّين والليتورجيّين والقانونيّين، برعاية من المجمع، وتطبيقًا لدعوة المجمع الفاتيكانيّ الثّاني إلى إعادة تعزيز تراث تلك الكنائس وإنعاش إرثها الفكريّ واللاهوتيّ والطّقسيّ؛ ثمّ «لجنة تنشئة الإكليروس والرّهبان» التي تعنى بتنشئة الطّلاّب الشّرقيّين في روما على اختلاف انتماءاتهم وتقاليدهم، ما يُظهرُ جليًّا مدى اهتمام الكرسيّ الرّسوليّ بكنائسنا؛ إلى جانب لجنة (R.O.A.C.O) أي «تجمّع المؤسّسات لمساعدة الكنائس الشّرقيّة»، وهي تضمّ مجموعة مكاتب ووكالات من مختلف أنحاء العالم، وتقوم ببعض المساعدات الماليّة لإنشاء المباني الكنسيّة والاجتماعيّة في بعض بلدان الكنائس المشرقيّة، وتأمين المنح الدّراسيّة، وإعانة المؤسّسات التّربويّة والمدرسيّة، وخدمة الأشخاص الذين يعتمدون على المساعدات الاجتماعيّة والصّحّيّة.

كما تشمل سلطة المجمع، عمليًّا، بلدان الشّرق الأوسط والهند والحبشة وأوروبا الشّرقيّة وغيرها من البلدان التي يوجد فيها شرقيّون كاثوليك.

ثمّة ستّ موادّ في دستور الكوريا الرّومانيّة «الرّاعي الصّالح» Pastor Bonus(١٣) تحدّد الخطوط العريضة لصلاحيّات المجمع (٦١-٥٦)؛ إذ تحقّ له بموجبها معالجة جميع الموادّ التي تتناول الأشخاص الشّرقيّين وأمورهم التي يعود البتّ فيها للكرسيّ الرّسوليّ، من النّاحية الهيكليّة أو التّنظيميّة وممارسة الخدمة التّعليميّة والتّقديسيّة والإداريّة، ناهيك عن الاهتمام بأوضاع الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة عمومًا، وبحقوقها وواجباتها، وهو يرعى أيضًا شؤون الشّرقيّين الكاثوليك المقيمين في الأماكن الخاضعة لولاية الكنيسة اللاتينيّة.(١٤)

ب. حقّ اللجوء إلى الكرسيّ الرّسوليّ

أكّد المجمع الفاتيكانيّ الثّانيّ إستقلاليّة الكنائس البطريركيّة الشّرقيّة الكاثوليكيّة(١٥)؛ غير أنّ المقصود بهذا التّعبير بالطّبع، إستقلاليّة نسبيّة فقط (Une autonomie relative)، وإلاّ فقدت تلك الكنائس كاثوليكيّتها. وقد أعلن «بطريقة رسميّة أنّ من حقّ الكنائس الشّرقيّة والكنائس الغربيّة، بل من واجبها، أن تحكم نفسها وفقًا لأنظمتها الخاصّة الذّاتيّة» نظرًا «لجلال قدمها»، وأن «تتوافق أكثر مع عادات مؤمنيها، ولكن ليس من أجل السّلطة والحكم»، بل «لتضمن للنّفوس خيرًا عميقًا» (ك ش ٥).

إلاّ أنّ هذا الحكم الذّاتي الذي يشير إليه نصّ الوثيقة يخضع أوّلاً وآخرًا للحبر الرّومانيّ الذي له حقّ التّدخّل بقوّة القانون في كلّ المسائل والقضايا إذا شاء ذلك. وعليه، فإنّ سلطة البطريرك لا تمتدّ إلى خارج حدود الرّقعة البطريركيّة، بحسب الإيضاح الصّادر عن مجمع الكنائس الشّرقيّة في ٢٥ آذار ١٩٧٠.

كما يحدّد المجمع الفاتيكانيّ المسائل التي يحقّ اللجوء بها الى الكرسيّ الرّسوليّ، وهي تتعلّق بالأمور الخاصّة «بالأشخاص، والجماعات، والمناطق». أمّا الكرسيّ الرّسوليّ، كونه «حكمًا ساميًا للعلاقات بين الكنائس»، فيجب أن يلبّي الحاجات بروح مسكونيّة، «بذاته أو بسلطات أخرى، معطيًا من القواعد والمراسيم والأوامر ما يراه موافقًا» (ك ش ٤)، ما يستوجب في اعتقادنا شرحًا قانونيًّا لبعض «الكلمات-المفاتيح» الواردة بين السّطور، بغية توضيح ما يقصده نصّ القرار المجمعيّ حول «الكنائس الشّرقيّة» وترجمته قانونيًّا وتطبيقيًّا.

ج. الأمور الخاصّة بالأشخاص

من المعروف في القانون الكنسيّ أنّ لكلّ كاثوليكيّ حقّ اللجوء إلى الحبر الرّومانيّ الذي نيطت بسلطانه رعاية الكنيسة الكاثوليكيّة جمعاء، وله أن ينظر في كلّ المسائل بذاته أو بسلطات أخرى نظير أعضاء الكوريا الرّومانيّة والممثلين الحبريّين الذين يقومون باسم البابا وبسلطانه بالمهمّة الموكولة إليهم في سبيل خير الكنائس جمعاء بحسب القواعد التي يقرّها قداسته (ق. ٤٦ -البند ١).

نوجز في هذا السّياق أهمّ المسائل المتعلّقة بالأشخاص والمنوطة بدوائر الكرسيّ الرّسوليّ المتعدّدة، وخصوصًا مجمع الكنائس الشّرقيّة، وهي إمّا تُرفع إلى الأب الأقدس وإمّا يُبتّ فيها باسمه، بموجب الصّلاحيات الممنوحة منه:

مسألة تعيين الأساقفة (ق. ١٨١ البند ٢؛ ١٤٩؛ ١٦٨)؛ قضيّة قبول أسقف شرقيّ غير كاثوليكيّ في الكنيسة الكاثوليكيّة وممارسة سلطته (ق. ٨٩٨ البند ١؛ ٨٩٩)؛ تخلّي الأسقف عن مهامّه خارج حدود الولاية البطريركيّة (ق. ٢١٠ البند ٢)، تعيين المدبّر الرّسوليّ (ق. ٢٣٤)؛ التّفسيح من وثاق البتوليّة في حالات معيّنة (ق. ٣٩٧)؛ التّفسيح من الدّرجة المقدّسة (ق. ٧٩٥ البند ١-١)؛ حلّ الزّواج الصّحيح غير المكتمل (ق. ٨٦٢)؛ فسخ الزّواج (ق. ١٣٨٤)؛ الموافقة على تعيين المعتمد البطريركيّ لدى الكرسيّ الرّسوليّ (ق. ٦١)؛ التّدخّل في تعيين البطريرك في حال عدم إنجاز الإنتخاب خلال المدّة المحدّدة في القانون (٧٢ البند ٢)؛ تلقّي رسالة سينودوس الأساقفة عن انتخاب البطريرك بغية طلب رسالة «الشّركة الكنسيّة» من الحبر الرّومانيّ (ق. ٧٦ البند ٢)؛ الاهتمام بتسليم التّقرير السّنويّ الذي يوجّهه البطريرك إلى قداسة البابا عن حالة الكنيسة البطريركيّة المعيّنة وتحضير زيارة البطريرك للحبر الأعظم (ق. ٩٢ البند ٣)؛ النّظر في مسألة الأساقفة الّذين يرتكبون خطأً جسيمًا عبر رسالة يوجّهها البطريرك إلى قداسة البابا إن لم تتصلّح الأمور محليًّا (ق. ٩٥ البند ٢)؛ الموافقة على المعاهدات التي يبرمها البطريرك مع السّلطات المدنيّة (ق. ٩٨)؛ تعيين المرشّحين إلى الأسقفيّة من الكنائس البطريركيّة خارج رقعة الكنيسة البطريركيّة، وذلك بعدما يعرض البطريرك أسماء المرشّحين المنتخبين من السّينودس (ق. ١٤٩)؛ الموافقة على المرشّحين على الأسقفيّة (ق. ١٨٢ البند ٣-٤؛ ١٨٤ البند ١؛ ١٨٥)؛ إحالة قضيّة الأسقف الذي يغيب عن أبرشيّته خلافًا للقانون (٢٠٤ البند ٤)؛ تثبيت انتخاب رئيس الأساقفة الكبير (ق. ١٥٣ البند ٢-٤)؛ تعيين ميتروبوليت الكنيسة المتروبوليتيّة المستقلّة (ق. ١٥٥ البند ١)؛ منح الميتروبوليت درع التّثبيت (ق. ١٥٦ البند ١)؛ الاهتمام بزيارة الميتروبوليت الأعتاب الرّسوليّة كلّ خمس سنوات (ق. ١٦٣).

د. المسائل الخاصّة بالجماعات

أمّا المسائل التي تتعلّق بالجماعات فهي: موافقة الكرسيّ الرّسوليّ على عقد مؤتمرات رؤساء الكنائس الشّرقيّة المتنوّعة ومقرّراتها (٣٢٢)؛ طاعة الكهنة والجماعات الرّهبانيّة لشخص الحبر الرّومانيّ (ق. ٣٧٠؛ ٤٢٧) كرئيسهم الأعلى (ق. ٤١٢؛ ٥٥٥؛ ٥٦٤)؛ خضوع الرّهبان الذين يتولّون منصب بطريرك أو أسقف أو إكسرخوس، للحبر الأعظم؛ (٤٣١ البند ٢ رقم ١)؛ النّظر بخلافات الأساقفة فيما بينهم (ق. ٨٨ البند٢)؛ تلقّي الأعمال والمقرّرات القانونيّة الصّادرة عن مجلس الأساقفة (ق. ١١١ البند ٣)؛ النّظر في استقالة البطريرك من منصبه (ق. ١٢٦ البند ٢).

هـ. الأمور المتعلّقة بالمناطق

ثمّة أيضًا بعض النّقاط الهامّة المرتبطة بالمناطق:

الحبر الرّومانيّ هو المدير الأعلى للخيور الكنسيّة (ق. ١٠٠٨) وهذا يشمل كلّ مناطق انتشار الكنيسة الكاثوليكيّة جغرافيًّا. ضرورة قبول الكرسيّ الرّسوليّ موضوع انتقال الكرسيّ البطريركيّ من مكان إلى آخر (ق. ٥٧ البند ٣). القرار في شأن حدود منطقة الكنائس البطريركيّة الّذي يعود إلى قداسة البابا وحده (ق. ١٤٦ البند ٢). تحديد الشّرع الخاصّ للكنائس الّتي هي ليست ببطريركيّة ولا بأسقفيّة ولا بميتروبوليتيّة (ق. ١٧٤)

٧. بين روح المجمع المسكونيّ وحرف القوانين

نشأت البطريركيّات الشّرقيّة وأصبحت كلّ واحدة مستقلّة- إلاّ في موضوع الإيمان- في انتخاب بطاركتها وأساقفتها وتدبير شؤون أبرشيّاتها واستحداث أبرشيّات جديدة وسنّ قوانينها الخاصّة وحلّ مشاكلها الإداريّة وتنظيم شؤونها مع شعبها وإكليروسها، من دون أيّ انتقاص من منزلة الكرسيّ الرّسوليّ.(١٦)

اعترف المجمع الفاتيكانيّ الثّاني صراحة بالحكم الذّاتيّ للكنائس البطريركيّة الكاثوليكيّة التي يؤلّف بطاركتها مع مجامعهم المرجع الأوّل في كلّ أمورها، إذ لهم الحقّ في إنشاء أبرشيّات جديدة وانتخاب أساقفة من كنائسهم ضمن حدود أرض الولاية البطريركيّة، بَيْد أنّه ربط كلّ ذلك بمبدأ المحافظة على «حقّ الحبر الرّومانيّ الذي لا يتغيّر بالتّدخّل في بعض القضايا»، ما جعل هذه الاستقلاليّة بالتّأكيد نسبيّة ومحدودة (ك ش ٩). لا ضير في ذلك، ما دام الهدف معروفًا، وهو المحافظة على جوهر الشّراكة الكاثوليكيّة والوحدة الكنسيّة بين كلّ تلك الكنائس التي يوحّدها رأس هرم واحد منظور هو قداسة البابا. غير أنّ التّشريع القانونيّ الحاليّ وشرحه وتطبيقه في بعض الدّوائر، قد حدّ كثيرًا من رغبة المجمع الفاتيكانيّ في إعادة تلك الحقوق والامتيازات القديمة إلى البطاركة والكنائس البطريركيّة، ما قد قلّص صلاحيّات البطاركة ودورهم في الحكم والتّشريع والقضاء.

وفي الوقت الذي قرّر فيه المجمع المسكونيّ المذكور إعادة الكثير من تلك الحقوق والامتيازات للكنائس المشرقيّة باعتبارها «كانت قائمة في زمن الوحدة بين الشّرق والغرب»، كتلك التي أقرّها المجمع النّيقاويّ ويتمتّع بها الكرسيّان الإسكندريّ والأنطاكيّ، باعتراف من الكرسيّ الرّسوليّ لهاتين البطريركيّتين بأن يدبّرا رعاياهما باسم القدّيس بطرس رأس الكنيسة وباسم الحبر الرّومانيّ(١٧) ، نرى التّشريع الكنسيّ الشّرقيّ الحاليّ يُحكِم قبضته على سلطة البطريرك، حيث لا يعطي أيّ تحديد لسلطان الحكم البطريركيّ، بالرّغم من أنّ مفهوم هذا «السّلطان» في اللغة القانونيّة الكنسيّة عمومًا واسع الإطار، إذ يعني ممارسة الحكم على المعمَّدين، في سبيل اقتيادهم نحو الخلاص الأبديّ، وهو بالتّالي يحتاج إلى تحديد وتفسير.(١٨)



لذا، باتت الصّلاحيّات المنبثقة من «السّلطة التّنفيذيّة» لدى البطريرك، محدودة جدًّا حيث مُنح عددٌ كبير منها لمجمع أساقفة الكنيسة البطريركيّة. ويعرف الباحثون في الحقل القانونيّ الكنسيّ أنّ مسألة إرساء التّوازن بين سلطة البطريرك «الخاصّة» وصلاحيّات مجمع الأساقفة كانت موضوع نقاشات واسعة من قِبل الأعضاء المستشارين في لجنة مراجعة قانون الهرميّة الكنسيّة الشّرقيّة، في دورتيها الأولى عام ١٩٨٥ والثانية عام ١٩٨٦(١٩). فتثبّت بذلك نظريّة القانونيّ البارز سلاخس Salachas، وهي أنّ الحكم في الكنيسة البطريركيّة كان لمجمع الأساقفة منذ تأسيس المسيحيّة.(٢٠)

أ. ملء الكهنوت وملء الشّراكة الكنسيّة

ردّد البابا الطّوباويّ يوحنّا بولس الثّاني في رسالته «رعاة القطيع» صدى مبادئ الفكر الكنسيّ الكاثوليكيّ العامّ، وهو أنّه بمجرّد كون أسقف رومة خليفة الطوباويّ بطرس نفسه، وأنّ جميعَ الأساقفة، في مجملهم، هم خلفاءُ الرسل، فالحبرُ الرومانيُّ والأساقفةُ هم على اتحاد في ما بينهم على شكل جماعة. إنّها هيئة الأساقفة تقوم على أساس شراكة المحبّة، وقد أسماها البابا المذكور «المودّة الجماعيّة»، أو جماعة المحبّة التي تولّد اهتمام الأساقفة بالكنائس الأخرى الخاصّة وبالكنيسة الجامعة. فالأسقف يجب ألاّ يكون وحده البتّة، لأنّه متّحد على الدوام مع إخوته في الأسقفيّة ومع ذاك الذي اختاره الربُّ خليفةً لبطرس. إنّ مثل تلك المودّة الجماعيّة تتحقّق بمختلف الطرق، وعلى صعيد المؤسّسات، كسينودس الأساقفة مثلاً، والمجامع الخاصّة ومجالس الأساقفة والدّوائر الفاتيكانيّة، وزيارات الأعتاب الرّسوليّة Visita ad limina والتّعاون الرّسوليّ.(٢١)

فالأسقفيّة هي ملء الكهنوت الذي يقوم على أساس ملء الشّراكة الكنسيّة، إذ يتمّ بدعوة خاصّة من الرّوح القدس عبر الانتخاب أو التّعيين والسّيامة المقدّسة. تبدّلت طريقة انتخاب الأساقفة والبطاركة الكاثوليك عبر التّاريخ، إلاّ أنّ جوهر الشّراكة لم يتبدّل حتّى لو تغيّر شكله مع مرور الزّمن.

يذكر كتاب «التّقليد الرّسوليّ» الذي كتبه هيبوليتس الرّوماني بين سنة ٢١٠ و ٢١٤ ما يلي: «يُرسم أسقفًا ذاك الذي ينتخب من الشّعب، ab omni populo. فعندما يُعلن اسمه وتعلن النّتائج، يجتمع الشّعب نهار الأحد إلى جانب مجلس الكهنة، والأساقفة الذين يحضرون وبعد نيل المرشح رضى الجميع، يضع الأساقفة أيديهم، بينما مجلس الأساقفة يظلّ واقفًا».(٢٢)

هذا كان منذ القديم، أمّا بالنّسبة إلى المجمع الفاتيكانيّ الثّاني فثمّة أهميّة كبيرة للسّيامة الأسقفيّة من ناحية السّلطان الكنسيّ. إذ أقرّ آباء المجمع ما يسمّى بملء السّلطان المقدّس الذي يكتسب بفعل التّكريس الأسقفيّ.

أمّا اليوم فقد أصبح الكرسيّ الرّسوليّ وحده المحقّقَ والمدقّقَ في أسماء جميع المرّشحين على الأسقفيّة المنتخبين من سينودس الأساقفة، بانتظار أن يثبّت البابا انتخابهم داخل حدود الولاية البطريركيّة أو يعلن تعيينهم خارجها، وله بكلتا الحالتين «حقّ النّقض المطلق» على من يشاء-إن جاز التّعبير. كما له حقّ التّدخّل في انتخاب البطريرك نفسه في حال مضت مدّة خمسة عشر يومًا على عدم انتخاب أيّ مرشّح (ق. ٧٢ البند ٢). - لا ضير، ما دام كلّ شيء منوطًا بسلطان الحبر الرّومانيّ الذي له الحقّ الدّائم في التّدخّل in singulis casibus أي بالحالات الخاصّة. والجدير بالذّكر فيما يخصّ تعيين الأساقفة خارج حدود الولاية البطريركيّة، أنّ ذلك كان يتمّ باقتراح أسمائهم مباشرة من قِبل مجمع الكنائس الشّرقيّة على الحبر الرّومانيّ من دون أيّ دور يُذكر لمجلس أساقفة الكنيسة البطريركيّة. أمّا بعد المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، فقد تبدّل الأمر وأصبح لمجلس الأساقفة أن ينتخب ثلاثة مرشّحين يرسلهم إلى مجمع الكنائس الشّرقيّة كي يختار الأب الأقدس اسمًا منهم بتوصية من هذا الأخير (ق. ١٤٩). يعود الفضل في ذلك، إلى الفكر الكنسيّ الجديد الذي نشره المجمع الفاتيكانيّ الثّاني في قلب الكنيسة (ك ش ٩).(٢٣)

وفيما يتعلّق بالبطريرك، فهو يحصل بفعل انتخابه على ملء سلطان الحكم في الكنيسة البطريركيّة Potestas regiminis؛ لكنّ إمكانيّة ممارسة سلطته تصبح جائزة عند توليته المنصب البطريركيّ (ق. ٧٧ الفقرة ١). وبُعَيد التّولية، عليه أن يطلب من قداسة البابا الشّركة الكنسيّة Ecclesiastica communion ليمكنه بعد ذلك دعوة مجلس الأساقفة إلى الانعقاد واختيار أساقفة عند الحاجة ورسمهم.

والجدير ذكره على سبيل استذكار التّاريخ لتقييم الحاضر، بعض ما ورد في رسالة رئيس أديار القدس الأخ فرنسيس سوريانوس إلى بطريرك الموارنة بطرس الحدثيّ الرّابع، سنة ١٤٩٤، وهو أنّ البطريرك المارونيّ نفسه كان يُختار من الشّعب بكلام ظاهر وبالإجماع (Plein consentement) ، على أن يكون طائعًا للكرسيّ الرّسوليّ وخاضعًا لسنن قداسة البابا، ثمّ يرسم بطريركًا على يد ثلاثة أساقفة، لكنّه لا يدعى بطريركًا حقيقيًّا حتّى يحضر شخصيًّا أو يُعلم الكرسيّ الرّسولي بخطّ يده عن موضوع انتخابه من الشّعب كي ينال براءة التّثبيت.(٢٤)

يرى بعض الباحثين القانونيّين، نظير McAreavey وKovalenko، أنّ مسألة منح «الشّركة» للبطريرك كإعطاء صلاحيّة إداريّة لممارسة سلطته وولايته عدا أَنّها ليست من مميّزات التّقليد الشّرقيّ، فهي غريبة عن طبيعة الكنيسة كَسِرّ.(٢٥)

وما زال البطاركة الكاثوليك حتّى اليوم بعد انتخابهم، يطلبون خطّيًّا من قداسة البابا عبر مجمع الكنائس الشّرقيّة، مرسوم «الشّركة الكنسيّة»، واعدين بالأمانة للخدمة العظيمة التي آلت إليهم، والطّاعة الكاملة لشخص الحبر الرّومانيّ، كنائب السّيّد المسيح على الأرض وخليفة القدّيس بطرس.

ب. التّنسيق الدّائم

بثّ المجمع الفاتيكانيّ الثّاني في رئتي الكنيسة الكاثوليكيّة الغربيّة والشّرقيّة فكر التّحاور والتّشاور والتّلاقي والتّنسيق، عبر السّفارات البابويّة، والتّواصل المباشر بين البطاركة والكرسيّ الرّسوليّ من خلال اجتماعات ولقاءات وسينودسات... فثمّة بطاركة أعضاء في مجامع ومجالس حبريّة، وأساقفة أعضاء ومستشارون في لجان حبريّة، وتعاون دائم في كلّ مكان، وتعلّق بنويّ من الشّرقيّين الكاثوليك بالأب الأقدس، كما أنّ هناك اهتمامًا كبيرًا من قبل الباباوات أنفسهم والدّوائر الفاتيكانيّة بأمور الشّرقيّين وقضاياهم.

نذكر على سبيل المثال لا الحصر، ذلك الحدث الفاتيكانيّ الذي تمّ في الآونة الأخيرة، من ١٩ إلى ٢٢ تشرين الثّاني المنصرم، وهو انعقاد الجمعيّة العموميّة لمجمع الكنائس الشّرقيّة، وقد ضمّت ٢٨ عضوًا بين بطاركة ورؤساء أساقفة وكرادلة وكهنة يمثّلون الكنائس المارونيّة والبيزنطيّة والكلدانيّة؛ وقد تمحورت على مدى تأثير المجمع الفاتيكانيّ الثّاني لدى مسيحييّ الشّرق والوثائق الصّادرة عن المجمع بهذا الخصوص، بهدف «التّحقّق من الوعي المتزايد للكنيسة الجامعة بالنّسبة إلى كاثوليكييّ الشّرق على ضوء ظاهرة الهجرة».

أمّا من ناحية العلاقة القانونيّة للتّنسيق الدّائم فيجب على البطاركة أن يحافظوا على الأمانة والإكرام والطّاعة الواجبة لراعي الكنيسة الجامعة، عبر تواصل متواتر



وكتابات يشرحون فيها أوضاع كنائسهم، والقيام بزيارات عديدة إلى كرسيّ بطرس في روما. ومن ناحية أخرى، قد حدّد القانون ٦١، حقّ البطريرك بإرسال معتمد بطريركيّ لدى الكرسيّ الرّسوليّ يمثّله في دوائر الحكم الرّسوليّة ويهتمّ بمصالح الكنيسة البطريركيّة وشؤونها لدى الدّوائر الفاتيكانيّة. إلاّ أنّ هذا المعتمَد يجب أن ينال موافقة الحبر الرّومانيّ مسبقًا من خلال مجمع الكنائس الشّرقيّة، بعدما يرسل البطريرك طلبًا بذلك إلى المجمع المذكور بحيث يتولّى هذا الأخير العناية بالأمر عبر الأصول المتّبعة لدى الكرسيّ الرّسوليّ. يقوم المعتمَد البطريركيّ بمهمّة التّنسيق الدّائم بين البطريركيّة ودوائر الفاتيكان في كلّ المسائل الواجبة. وينطبق الأمر عينه على وكلاء الرّهبانيّات الحبريّة الذين يمثّلون رهبانيّاتهم لدى الكرسيّ الرّسوليّ.

وعليه، ذهب البابا يوحنّا بولس الثّاني في رسالته «نور الشّرق» إلى أبعد من القانون في مسألة التّنسيق الدّائم والمتبادل، متعهّدًا في ما يخصّ جماعات الغرب، أنّها ستأخذ على نفسها أن تتقاسم مشاريع خدمة مع كنائس الشّرق، أو أن تسهم في تحقيق ما تقوم به من خدمات لشعوبها...
إنّ إحدى الوسائل المهمّة للنموّ في التّفاهم المتبادل وفي الوحدة تقوم على التّعمّق في المعرفة المتبادلة، كالتّعرّف إلى ليتورجيّة الكنائس الشّرقيّة، والتّعمّق في معرفة التّقاليد الرّوحيّة لآباء الشّرق المسيحيّ وملافنته... وتنشئة لاهوتيّين وليتورجيّين ومؤرّخين وقانونيّين في المعاهد المتخصّصة في علوم الشّرق المسيحيّ، يستطيعون أن ينشروا بدورهم معرفة الكنائس الشرقية....(٢٦)

الخاتمة

أراد المجمع الفاتيكانيّ الثّاني على ما قاله البابا الكبير بولس السّادس: «تنظيف وجه الكنيسة وإعادة النضارة إليه»(٢٧)، فدعا الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة بإلحاح إلى التعلّق بجذور إيمانها وأصالة تقاليدها، وتعزيز ثقتها بإدارة شؤونها عبر حفظ وحدتها الكاملة مع الكنيسة الكاثوليّكيّة الجامعة، وطاعتها للحبر الأعظم التي تقوم على المحبّة والاحترام والتّواصل. وبالرّغم من أنّ بعض القوانين الكنسيّة اللاحقة قد حجبت عنها بعض الامتيازات، فقد حسم الأمر في ذلك البابا يوحنّا بولس الثّاني، إذ قال: «إنّ مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة التي تظهر الآن إلى العلن يجب أن تعدّ تكملة جديدة لتعليم المجمع الفاتيكانيّ الثّاني يتمّ بها أخيرًا التّنظيم القانونيّ للكنيسة جمعاء»(٢٨). وهكذا أصبحت علاقة الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة مع الكرسيّ الرّسوليّ أكثر تنظيمًا وتنسيقًا وإصلاحًا، على قاعدة البابا بولس السّادس المذكور آنفًا، أنّه «لا يجوز لنا أن نفهم بالإصلاح تغييرًا، بل بالأحرى توطيدًا للأمانة التي تحفظ للكنيسة المحيّا الذي وسمها به المسيح ذاته.(٢٩)

(١) سوف نستعمل في سياق البحث المصطلح (ك ش) للدّلالة على القرار المجمعيّ في الكنائس الشّرقيّة.
(٢) يوحنّا بولس الثّاني، نور الشّرق Orientale Lumen، رسالة رسوليّة، منشورات اللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب لبنان، د.ت.، رقم ٥.
(٣) سنستعمل في سياق البحث المصطلح (ق.) للدّلالة على مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة.
(٤) Cf. M. Maccarrone, Lo sviluppo dell›idea dell›episcopato nel II secolo e la formazione del Simbolo della cattedra episcopale, Milano 1970, p. 11.
(٥) Cf. SACRA CONGREGAZIONE ORIENTALE, Codificazione Canonica Orientale, (a.c.d.) P. Hindo, Fonti, Disciplina Antiochena Antica, Les Personnes, Serie 11, fasc. XXVII, Città del Vaticano 1951, p. 168.
(٦) Cf. V. Parlato, L›Ufficio patriarcale nelle Chiese Orientali dal IV al X secolo, Padova 1969, p. 11.
(٧) Cf. Nuntia, 22 (1986) 43.
(٨) Cf. Conciliorum Oecumenicorum Decreta (COD), a cura di G. Alberigo – G. L. Dossetti- P. P. Joannou-C. Leonardi – P. Prodi, dell'Istituto per le scienze religiose, EDB, Boglogna 1996. C. 6, pp. 8-9.
(٩) Cf. D. Salachas, Il Diritto Canonico delle Chiese Orientali nel primo millennio, EDB, Bolgogna-Roma, 1997, p. 65.
(١٠) Cf. D. Salachas, Istituzioni di Diritto Canonico delle Chiese Cattoliche Orientali, EDB, Roma-Bologna, 1993, p. 144.
(١١) Cf. P. Vito Pinto, Commento al Codice dei Canoni delle Chiese Orientali, Corpus Iuris Canonici II, Libreria Editrice Vaticana, Citta del Vaticano, 2001, p. 56.
(١٢) راجع بطرس فهد، مجموعة المجامع الطّائفيّة المارونيّة عبر التّاريخ، مطابع الكريم الحديثة، جونيه-لبنان، ١٩٧٥، ص ٦٦-٦٧.
(١٣) صدر عن البابا يوحنّا بولس الثّاني عام ١٩٨٨.

(١٤) A.A.S., 80 (1988) 874-876.
(١٥) Cf. L. Kovalenko, “Communio ecclesitastico del Patriarca con il Romano Pontefice” in Ius Ecclesiarum Vehiculum Caritatis, Atti del simposio internazionale per il decennale dell’entrata in vigore del Codex Canonum Ecclesiarum Orientalium, Congregazione per le Chiese Orientali, Liberria editrice vaticana, 2004, P. 784.
(١٦) راجع، بطرس فهد الكنائس الشّرقيّة عبر التّاريخ، مطابع الكريم الحديثة، جونيه- لبنان، ١٩٧٢، ص ١٤-١٥.
(١٧) المرجع نفسه، ص. ١٠-١١.
(١٨) Cf. J. Garcia Martin, Le norme generali del Codex Iuris Canonici, Roma 1996, p. 467.
(١٩) Cf. Nuntia, 22 (1986) 3-7.
(٢٠) Cf. D. Salachas, Istituzioni di Diritto…, p. 143.
(٢١) يوحنّا بولس الثّاني، رعاة القطيع، Pastores gregis، حاضرة الفاتيكان، ٢٠٠٣، رقم ٨.
(٢٢) Cf. O. Bucci, “Il Collegio dei Vescovi nelle sue origine” in Ius Ecclesiarum Vehiculum…, P. 218.
(٢٣) Cf. P. Vito Pinto, Commento…, p. 143.
(٢٤) Cf. B. G. Al-Ghaziri, Rome et l’Eglise Syrienne-Maronite d’Antioche (517-1531), Thèses, Documents, Lettres, Imprimerie des Belles Lettres Khalil Sarkis, Beyrouth, 1906, pp. 112-113.
(٢٥) Cf. L. Kovalenko, “Communio ecclesitastico del Patriarca con il Romano Pontefice” in Ius Ecclesiarum Vehiculum…, P. 784.
(٢٦) يوحنّا بولس الثّاني، نور الشّرق… ٢٢-٢٤.
(٢٧) بولس السّادس، كنيسة المسيح، Ecclesiam suam، رسالة عامّة، ١٩٦٤، رقم ٤٦.
(٢٨) مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة، منشورات المكتبة البولسيّة، الطّبعة الأولى، بيروت-لبنان، ١٩٩٣، ص. ١٧.
(٢٩) بولس السّادس، كنيسة المسيح…، ٤٩.

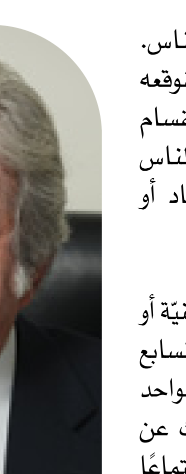
المصادر

- المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثّاني، الوثائق المجمعيّة، نقلها إلى العربيّة، يوسف بشارة، عبده خليفة، فرنسيس البيسريّ، طبعة ثالثة منقّحة، مطابع يوسف وفيليب الجميّل، ١٩٨٩.
- مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة، منشورات المكتبة البولسيّة، الطّبعة الأولى، بيروت- لبنان، ١٩٩٣؛
- فهد بطرس، الكنائس الشّرقيّة عبر التّاريخ، مطابع الكريم الحديثة، جونيه- لبنان، ١٩٧٢؛
- فهد بطرس، مجموعة المجامع الطّائفيّة المارونيّة عبر التّاريخ، مطابع الكريم الحديثة، جونيه-لبنان، ١٩٧٥؛
- يوحنّا بولس الثّاني، رعاة القطيع، Pastores gregis، حاضرة الفاتيكان، ٢٠٠٣؛
- يوحنّا بولس الثّاني، نور الشّرق Orientale Lumen، رسالة رسوليّة، منشورات اللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب لبنان، د.ت؛
- Acta Apostolicae Sedis, 80 (1988) 874-876.
- Aa.Vv., Ius Ecclesiarum Vehiculum Caritatis, Atti del simposio internazionale per il decennale dell’entrata in vigore del Codex Canonum Ecclesiarum Orientalium, Congregazione per le Chiese Orientali, Liberria editrice vaticana, 2004;Al-Ghaziri, B. G., Rome et l’Eglise Syrienne-Maronite d’Antioche (517-1531), Thèses, Documents, Lettres, Imprimerie des Belles Lettres Khalil Sarkis, Beyrouth, 1906;
- Conciliorum Oecumenicorum Decreta (COD), a cura di G. Alberigo – G. L. Dossetti- P. P. Joannou- C. Leonardi P. Prodi, dell’Istituto per le scienze religiose, EDB, Boglogna, 1996;
- Garcia, M. J., Le norme generali del Codex Iuris Canonici, Ediurcla, Roma, 1996;
- Maccarrone, M., Lo sviluppo dell›idea dell›episcopato nel II secolo e la formazione del Simbolo della cattedra episcopale, [s.n.], Milano, 1970;
- Nuntia: 22 (1986) 3-7;
- Parlato, V., L›Ufficio patriarcale nelle Chiese Orientali dal IV al X secolo, CEDAM, Padova, 1969;
- Pinto, V., Commento al Codice dei Canoni delle Chiese Orientali, Corpus Iuris Canonici II, Libreria Editrice Vaticana, Città del Vaticano, 2001;
- SACRA CONGREGAZIONE ORIENTALE, Codificazione Canonica Orientale, (a.c.d.) P. Hindo, Fonti, Disciplina Antiochena Antica, Les Personnes, Serie 11, fasc. XXVII, Città del Vaticano, 1951;
- Salachas, D., Il Diritto Canonico delle Chiese Orientali nel primo millennio, EDB, Bolgogna-Roma, 1997;
- Salachas, D., Istituzioni di Diritto Ca



محنة الربيع العربيّ

د. أمين ألبرت الريحاني





عالجتُ في مقالة سابقة إنقاذ الربيع العربيّ. هل يمكن إنقاذه وكيف يتمّ ذلك؟ لكنّني أدركت ضرورة التصدّي لمعالجة المحنة الرئيسة التي يمرّ بها الربيع العربيّ قبل التمادي في عمليّة الإنقاذ المطلوب. محنة الربيع العربيّ لا تكمن في السياسة، ولا تكمن في التاريخ أو الجغرافية، وهي حتمًا لا تكمن في الاقتصاد؛ فلكلٍّ من هذه المسائل ما يمكن أن يشكّل مادّة خصبة لمرافعة دفاعيّة مقنعة أو إتهاميّة جادّة تمثّل وجهة من وجهتَي نظر قابلة للنقاش والمداولة. غير أنّ المسألة التي يصعب الدفاع عنها تكمن في أزمة العقل العربيّ الدينيّ الذي ما زال حتّى اليوم عاجزًا عن الفصل بين المسألة الدينيّة والمسألة السياسيّة. محنة الربيع العربيّ اليوم تكمن في عقل عربيّ ما زال مقتنعًا بأنّ المسألتين السياسيّة والدينيّة تشكّلان جناحين أو ركيزتين متلاحمتين لقيام سلطة أو دولة سياسيّة حقيقيّة.

المحنة جوهريّة لأنّها تقوم على رفض العقل الآخر، ورفض الفكر المعاكس ضمن الدولة الواحدة. يوم مرّت أوروبا بهذه المحنة الجوهريّة قامت «محاكم التفتيش» لتقتل الناس على «الهويّة»، هويّة المعتقد المختلف ضمن الدولة الواحدة. وظلّت أوروبا تعاني من هذه المحنة عشرات السنين حتّى جاء من قال بفصل الدين عن الدولة، أبو بقبول المختلِف، بحيث دخل العقل الأوروبيّ إلى ما يحمل على قبول المختلف باعتبار أنّ هذا «المختلِف» لا يشكّل بالضرورة مادّة خلافيّة، وأنّ الدولة، أو السلطة، قابلة لأن تقوم بين مختلفَين، لا بل أنّ السلطة المتشكّلة ما بين مختلفَين يمكن أن تكون أقوى، وأوعى، وأعدل، وأفعل ممّا لو كانت قائمة من شعب لا اختلاف بين عناصره ومكوّناته.

ما يحدث اليوم في بعض البلدان العربيّة دعوة لقيام دولة من مكوّن شعبيّ واحد ورفض كلّ مكوّن آخر. خطورة هذ ا النوع من التفكير السياسيّ أنّه يمهّد، من حيث يدري أو لا يدري، لقيام سلطة حاكمة فيها كلّ الصفات الممهّدة إلى العنصريّة والعرقيّة والفئويّة، ما يبعدنا كلّ البُعد عن مبادئ المساواة والعدالة والحريّة بين الناس. أخطر ما يمكن أن يحلّ بالربيع العربيّ تقوقعه وتشرذمه في ثنايا ضيّقة من الانقسام والتفسّخ على أسس شكليّة باليّة تصنّف الناس بل تغربلهم بما لا يقوى على أيّ اتحاد أو تضامن في ما بينهم حاليًّا ومستقبلاً.

ثمّ إنّ الدعوة لقيام دولةٍ على أسس دينيّة أو مذهبيّة هي دعوة للأخذ بشرائع القرن السابع أو الثامن لتحلّ محلّ شرائع القرن الواحد والعشرين. كيف يمكن لشعوب أن تبحث عن آخر تطوّرات العصر الحديث، علمًا واجتماعًا وسياسة، وتنادي شعوب أخرى، وفي الوقت نفسه، بالعودة إلى ما كانت عليه العصور السالفة منذ عشرات بل مئات السنين؟ المعركة المعرفيّة الأساسيّة هي أن نقبل بكلّ واقعيّة وموضوعيّة بأنّ الدين، هو أيضًا، خاضع لسنّة التقدّم والتطوّر. فما كان صالحًا منذ مئات السنين لا بدّ له من تطوّر وتحديث كي يبقى صالحًا ومُلبيًا لحاجات اليوم. فبهذا المعنى نجد أنّ الدين كالعِلْم، والعِلْم كالاجتماع، والاجتماع كالسياسة، إن لا يخضع واحدهما لسنّة النشوء والارتقاء تراجع وتقهقر وتخلّف. ومَن لا يسلّم بهذه الحقيقة حَكَمَ على نفسه بالتخلّف والتقهقر، فردًا كان أم جماعةً أم أمّةً من الأمم.

وهذا ما يدفعنا إلى مواجهة الحقيقة الآتية: إن سرّ القدرة التنافسيّة بين الشعوب يبدأ بتبنّي الأدوات ذاتها للمعركة التنافسيّة إيّاها. وهذه الأدوات تقوم بقول المفهوم الواحد للمصطلح الواحد؛ فلا معنى للقول مثلاً أنّ ديمقراطيّتنا هي غير ديمقراطيّة سوانا، أو أن مساواتنا هي غير مساواة سوانا، أو أن حريّتنا تختلف عن حريّة سوانا. فمبادئ الديمقراطيّة والمساواة والحريّة لا تميّز بين إنسان وآخر، بين شعب وآخر؛ هي نوع من المبادئ التي لا جنسيّة لها، بل لا دين لها سوى قيمة الإنسان، حيث أنّ الإنسان، فردًا وجماعة، غايةٌ قائمة بذاتها.

هذا هو التحدّي الحقيقيّ للربيع العربيّ اليوم. وإن أخفق في هذا التحدّي في بعض البلدان العربيّة، فقد أثبت بعض النجاح في بلدان عربيّة أخرى. ومن الحلول التي عزّزت فرص نجاح هذه التجربة التاريخيّة ما جرى في تونس من الاحتكام إلى الديمقراطيّة الحقّة، إلى انتخابات تقرّر نتائجها مَن يصل إلى السلطة بموافقة الطرف الآخر صاحب الرأي المختلف: الجماعة القائلة بدولة علمانيّة أم تلك القائلة بدولة دينيّة، على أن تأتي الدورة الانتخابيّة الآتية لتتغيّر جماعة السلطة أو لتبقى حيث هي، أيضًا بموافقة الطرف الآخر.

ومن الفرص الأخرى التي أثبتت بعض النجاح في مواكبة الربيع العربيّ ما حدث في مصر ضمن الدستور الجديد للدولة، حيث نصّت بعض موادّ هذا الدستور على أنّ الشريعة الدينيّة هي واحدة من مصادر التشريع الدستوريّ في البلاد. يعني أنّ العقل العربيّ في المثلين التونسيّ والمصريّ بدأ يعي ويقرّ بضرورة الأخذ بعين الاعتبار ما يجري حولنا في العالم. أدركت مصر كما أدركت تونس أنّ اعتبارنا لأنفسنا «عالمًا آخر» أو عالمًا مختلفًا هو عودة إلى التقهقر والتخلّف. صحيح أنّ الخصوصيّة لشعب من الشعوب أو أمّة من الأمم مسألة جوهريّة لا بدّ من صونها وتعزيزها، لكنّ القواسم الإنسانيّة المشتركة تخوّلنا، بل تعطينا حقّ الإفادة من تجارب سوانا على المستويات العلميّة والاجتماعيّة والسياسيّة، فإن اخترنا رميها عرض الحائط حكمْنا على أنفسنا، وإن اخترنا الأخذ بنتائجها حكمنا لأنفسنا أفرادًا وشعوبًا وأمماً. وإذا نجح الربيع العربيّ في مصر وتونس في مواجهته لهذا التحدّي، وفي السير وفق حلول عقلانيّة لتلك المحنة الرئيسة للربيع العربيّ، فلماذا لا يمكن لهذا الربيع، الذي ما يزال واعدًا، من أن ينجح في العراق وسوريا وسواها من البلدان العربيّة الأخرى؟



أزيلوا العنف عن وجه الله

الأب بيار نجم



نحيا زمن العنف بامتياز: عنف باسم الحرّية، باسم السلام، باسم الديمقراطيّة، باسم الأمن الإستباقيّ، باسم الإيديولوجيّات السياسيّة أو الاجتماعيّة، باسم الاقتصاد، وباسم الحفاظ على الأنظمة.. نحياه باسم الدّين، وباسم الله وكتابه.

حين قال أندريه مالرو جملته الشهيرة: «القرن الحادي والعشرون، إمّا يكون قرنًا دينيًّا بامتياز أو لا يكون»، لم يكن بإمكاننا استبصار أنّ التديّن الّذي عاد يدمغ قرننا هذا سوف يُلبسه أسوأ مظاهره: التعصّب والعنف.
فنحن نحيا زمن الأصوليّات: زمن القاعدة والنُّصرة والداعشيّة، وإمارات خلنا أنّ تاريخ التقدّم عَفا عليها واندثرت، فإذا هي تطلّ برأسها بقوّة من نوافذ الجهل المدقع والحقد الأعمى والتطرّف العنيف.

وهو أيضًا زمن الصهيونيّة العنيفة الساعية إلى إلغاء كلّ ما هو متمايز، وصولاً إلى إقامة جدران عزل وإعلان الدولة الدينيّة؛ ولذلك تقوم بتقسيم مواطنيها إلى فئات من درجة أولى وثانية، بحسب انتمائهم أو عدمه إلى الديانة الإثنيّة التي تقوم عليها الدولة. وإنّه زمن ظهور جماعات اليمين المتطرّف أو النازيّين الجدد، زمن العودة الى قراءة النصوص التأسيسيّة للأديان قراءةً حرفيّة أصوليّة متطرّفة.

هذه التيّارات، وإن اختلفت في الانتماء وتعادت في ما بينها، يجمعها كلّها قاسم مشترك: العنف وإزالة الإختلاف.

إن تكلّمنا عن الديانات التوحيديّة الثلاث، فهذا لا يعني أنّ الديانات الأخرى تخلو من العنف؛ فحيثما أجلنا الطرْف في العالم نجد الصراع ومحاولة الإقصاء: إيديولوجيّات سياسيّة أصوليّة في الصين وفيتنام وكوريا الشماليّة تمنع عن الآخر حقّه بالوجود والتعبير. جماعات الهندوس والسّيخ في الهند وباكستان تتناحر منذ عقود، رافضة السلام قبل إبادة الآخر. صراعات مبنيّة على انتماء عنصريّ أو إثنيّ، سبّبت الإبادات الإثنيّة في أفريقيا. حركات إنفصاليّة إثنيّة في أوروبا وآسيا وفي الشرق الأوسط، تسعى الى استقلالها الذاتيّ بالعنف والمتفجّرات، تحصد أرواح الأبرياء بمنجل الحديد والنار.

أسباب العنف الدينيّ

أسباب عديدة ومتفرّقة حوّلت عالمنا إلى واحة قتال، وطبعت الديانات بطابع العنف وألصقت بها صبغة الوحشيّة. بعض هذه الأسباب خارجيّة، أي لا علاقة لها بالدين نفسه، كحالة القهر والحرمان التي عاشتها شعوب كثيرة بعد تقاسم الدول المنتصرة لمنطقتنا إثر سقوط الرجل المريض، السلطنة العثمانيّة، وسقوط حلم الخلافة معها. شعور بالقهر والظلم يعانيه الشعب الفلسطينيّ بعد قيام دولة إسرائيل، ورؤيته لحقوقه بالوجود الحرّ يُستهان بها لا من الدولة الغاصبة فقط، بل خاصّة ممّن ادّعوا الأخوّة وتركوا الشعب والدولة الحلم في مهبّ رياح المكاسب الإقتصاديّة والريادة السياسيّة.



وإذا أضفت إلى الشعور بالظلم وبالغبن عنصرَي الفقر والجهل، تجد بين يديك جميع عناصر قنبلة العنف والتطرّف ومكوّناتها، وهو ما نحصده اليوم في أرجاء الشرق الأوسط، الجديد أو القديم، لا فرق.

أمّا الأسباب الداخليّة المتعلّقة بتكوين الديانة نفسها فمتفرّقة ومتعدّدة، ترتبط خاصّة بما نسمّيه النصوص التأسيسيّة أو المؤسِّسة لكلّ ديانة، أي الكتاب المقدّس الخاصّ بكلّ ديانة، وبطريقة قراءتها وفهمها، وبالتالي تعليمها ونقلها إلى الأجيال المستقبلة.

قد تحتوي هذه النصوص على عناصر عنف، تكوّن أسس التمييز والإضطهاد، وتعطي قارئها لا الإمكانيّة فحسب، بل واجب إزالة من لا يشاركه الإيمان والمعتقد، أو من لا يتّبع القواعد الأخلاقيّة والوصايا الدينيّة التي يفرضها النصّ، وإن انتمى هذا المخالف إلى الدين نفسه.

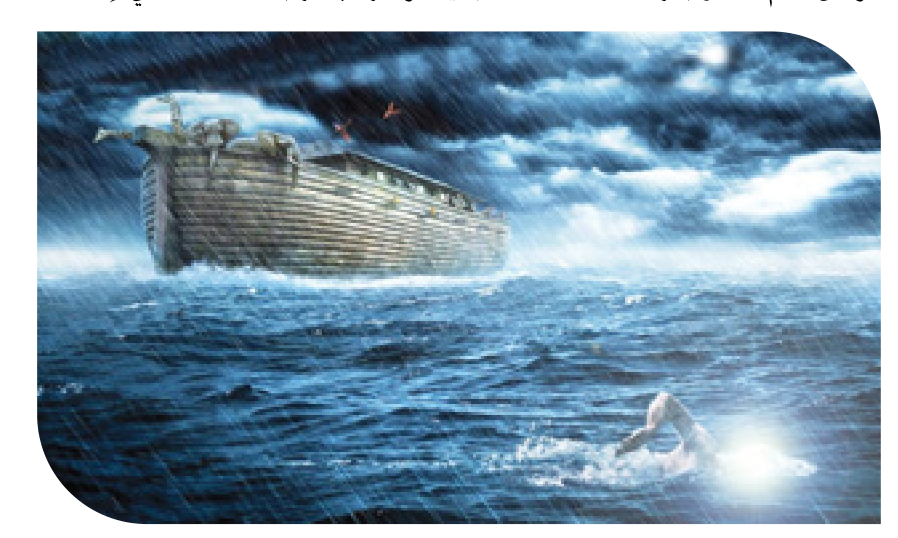
إلى جانب النصّ، وهو ما يتعلّق بالإرادة الإلهيّة عينها بحسب كلّ ديانة، يأتي عنصر التفسير: كيف تقرأ السلطة الدينيّة وتفسّر هذا النصّ القديم تاريخيًّا، لتؤوّن رسالته في

الزمان المعاصر. وعنصر التفسير لا يقلّ أهميّة عن العنصر الأوّل، أي النصّ بحدّ ذاته، لأنّ التفسير والشرح وسيلة نقل نصّ، يصعب فهمه بسبب قدمه، إلى الأجيال الجديدة: إن كانت طريقة التفسير معتدلة، تقرأ النصّ وتدرك أنّه نصّ كُتب في حقبة زمنيّة معيّنة، ويرتبط بواقع اجتماعيّ محدّد وبنمط تفكير العصر الّذي أنتج النصّ، تكون النتيجة تنشئة مؤمن على عيش جوهر إرادة الله. أمّا إذا كانت القراءة حرفيّة، تَقرأ الحاضرَ بعين الماضي وتسعى الى إعادة إحياء الواقع الاجتماعيّ القديم وتطبيقه في الحاضر، وإن لم يتماش مع واقع إنسان اليوم، فتصل بالمؤمن إلى حالة التعصّب، ويضحي التفسير غسلاً لدماغ القارئ، وسببًا لتحويله من مؤمن إلى متعصّب. هنا نفهم ثورة المسيح على قراءة الفرّيسيّين الحرفيّة لنصّ الشريعة.

العنف في الكتب المقدّسة

أولى الصعوبات التي تواجه القارئ في فهم العهد القديم هي قضيّة العنف وصورة الله القاسي الآمر بالعنف. يكفي أن نقرأ بسطحيّة رواية طوفان نوح والله المنتقم من خليقته، أو قصّة دمار سادوم وعامورة وحرقها بالكبريت، أو قصّة قتل أبكار المصريّين الذكور، أو روايات احتلال الأرض وإبادة الأعداء في كتاب يشوع بن نون، لنكوّن عن الله صورة إله العين بالعين والسنّ بالسّن، سيّد الرّعب والإله المنتقم، الداعي إلى اقتراف مجازر تطهير عرقيّ باسمه هو.

أمّا في العهد الجديد، فالآيات «العنيفة» التي قد نجدها لا تكفي وحدها، لقلّتها ولإبهام معانيها، لتؤسّس نظام عنف وتجيز ممارسته؛ فالعهد الجديد هو ثمرة تبشير جماعة كانت تعاني الإضطهاد





وتتحمّل العنف والإرهاب عليها، واستشهادُ إسطفانوس تحت ناظرَي شاول (بولس المستقبليّ) هو خير شهادة على منطق يرى في السلام وفي المغفرة الجواب على عنف البشر، لذلك كانت آخر كلمات إسطفانوس تردادًا لكلمات مخلّصه، الشهيد الأوّل: «لا تَحسبْ عليهم هذه الخطيئة».

ولكنّ غياب العنف في العهد الجديد لم يردع المسيحيّين، على مرّ العصور، وصولاً إلى القرن الماضي، عن ممارسة العنف ضدّ كلّ من هو مختلف، فكانت نشأة محاكم التفتيش في العصور الوسطى، وتهميش اليهود والمسلمين في أوروبا، وطردهم من إسبانيا، ومصادرة مقتنياتهم، ووضعهم في «الغيتو» لإبعادهم عن المجتمع المسيحيّ... وهي ممارسات كانت من العوامل التي مهّدت لنشأة سياسة التطهير العرقيّ في نظام ألمانيا النازيّة.

وفي القرآن آيات وسورات تدعو إلى العنف والقتل والتعذيب، باسم الله نفسه أو باسم الدين والحقّ. ففي سورة البقرة نقرأ «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» (بقرة ٢١٦). قول القرآن «كُتب عليكم» ينفي على المؤمن إمكانيّة الإختيار، لأنّه واجب ألهيّ؛ «وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم» تنفي دور الضمير وقدرة الإنسان على التمييز بين خير وشرّ. فما يُقال هنا عمليًّا، إذا ما وضعناه في كلمات معاصرة: وإن كانت قدرة التمييز عندكم أو الضمير يقولان لكم أنّ القتل شرّ، فأنتم لا تفهمون المقصد الألهيّ، الّذي هو خير لكم.

آيات عديدة إذا ما قرأناها بحرفيّتها وأردنا وضعها موضع التنفيذ في عالمنا المعاصر، نجد أن لا بدّ من قتل المرتدّ عن الإسلام «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» (النساء ٨٩)، «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (التوبة ١٢)، ولا بدّ من صَلب أو قَطع يدَي ورجلَي من يخالف الشريعة ويعيث في الأرض فسادًا، أو في أهون الشرور النفي «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ



يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ» (المائدة ٣٣).

إنّ القراءة الحرفيّة والتفسير الأصوليّ لهذه الآيات، وللمئات من شبيهاتها في القرآن، تؤدّي حكمًا إلى ما نشهده اليوم في أمكنة كثيرة من العالم من ممارسات تنافي كرامة الأنسان وحرّيته في الفكر والمعتقد، إن في أنظمة قائمة على أساس الشريعة، أو في حركات ومنظّمات أصوليّة متطرّفة، لا تتوانى عن قطع يد السارق أو رجم الزانية أو صلب الفاسد.

لقد عرفت الكنيسة كيف تتبنّى القراءة الرمزيّة لنصوص عنيفة بحرفها، مستندة على كلام المسيح نفسه، حين جادله اليهود حول جواز الطلاق. بالنسبة ليسوع، لا يمكن للرجل ترك امرأته؛ وحين جابهه اليهود قائلين: «لكنّ موسى أمر بإعطاء المرأة كتاب طلاقها وتخليتها»، أجاب يسوع «لأجل قساوة قلوبكم قال موسى هذا، ولكن لم يكن هكذا منذ البدء» (مت ١٩: ٣). هذا القول فتح المجال باكرًا أمام الجماعة الكنسيّة لتدرك أنّ ما هو غير متعلّق بالحقيقة اللاهوتيّة بذاتها، يمكن أن يتبدّل بحسب الحالات الاجتماعيّة والتاريخيّة. من هنا أهميّة الفصل بين ما هو لاهوتيّ عقائديّ، وما هو تاريخيّ اجتماعيّ.

هذه النظرة فتحت المجال للقراءة الروحيّة، الرمزيّة، التيبولوجيّة أو الأليغوريّة، منذ بدايات الكنيسة؛ وهي كلّها طرق قراءة للنصّ الكتابيّ، لا تقيّد الشارح والقارئ بحرفيّة النصّ المقدّس: «فالكلام الّذي أقوله لكم هو روح وحياة» يقول يسوع (يو ٦: ٦٣)، حقيقة فهمها بولس الرّسول بعد ارتداده، وكتب «جعلنا خدّام بشارة العهد الجديد لا بالحرف بل بالرّوح، لأنّ الحرف يقتل، والرّوح يحيي» (٢ قور ٣: ٦)، وهو ارتداد جذريّ لمن كان شاول المتطرّف، الساعي وراء المسيحيّين من مدينة إلى أخرى ليبيدهم تنفيذًا لوصايا الشريعة، فكان إسطفانوس الشهيد أولى ضحاياه.

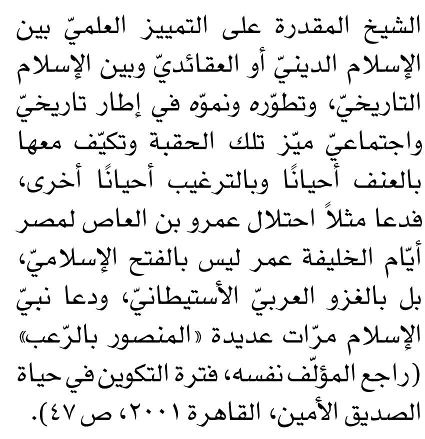
واليوم، تعود مشاكل هذه القراءة الحرفيّة إلى الواجهة من جديد، مع بروز تيّارات التطرّف الراديكاليّ في العالمين الإسلاميّ واليهوديّ، وإن كانت تيّارات أقلويّة في إطار كلتا الديانتين: فاليهود المتطرّفون لا يزالون يسعون الى تطهير أرض الميعاد كما فعل يشوع بن نون والشعب في الماضي. ولكنّ سفر يشوع كُتب في مرحلة متأخّرة جدًّا بعد احتلال الأرض، وقد قرأ الماضي على ضوء حاضره، وبالتالي فالأحداث جُعلت على يد يشوع، والكلمات وُضعت على فم الله، والغاية كانت رمزيّة: أي لا إمكانيّة لعبادة الله والآلهة الأخرى؛ والأرض، رمز الإنسان المؤمن، لا بدّ من أن تكون مطهّرة من كلّ ما هو ليس الله. إنّ القراءة الرمزيّة للنصّ تقود المؤمن إلى حالة انتماء ووفاء، أمّا القراءة الحرفيّة فتقود إلى ما نراه اليوم من جدران فصل ومجازر تطهير عرقيّ وتهميش لشعب شتّت في أصقاع العالم باسم الله، إله العهد وسيّد الأرض.

وفي الإطار الإسلاميّ لا بدّ من فعل شجاعة، لاسيّما في إطار النخبة المثقّفة، لتحطيم جدران الخوف من تفسير القرآن بما يتلاءم وتطوّر التاريخ. لا بدّ من الفصل بين الإسلام اللاهوتيّ والإسلام التاريخيّ، بين ما هو في إطار الإيمان والمعتقد، وبين ما هي ترسبّات اجتماعيّة وتاريخيّة، وممارسات كانت ابنة عصرها ولم يعد من الممكن تبنّيها اليوم. فالإسلام الناشئ قام على الفتح أو الغزو في مجتمع قبليّ، وكانت بعض مواصفاته حماية هذه الديانة الناشئة من كلّ ما أو من يخالفها ويشكّل خطرًا على نموّها. لا بدّ من فعل شجاعة لتقول النخبة المثقّفة من رجال دين وعلم أن لا يمكن لله أن يفرض إبادة من يخالف الإسلام الرأي. فعل الشجاعة هذا يبدأ في خطب الجمعة، وفي المدارس الدينيّة، وفي وضع برامج تعليم دينيّ ينمّي التزام المؤمن بدينه ويفتحه على الإختلاف. ففي أماكن كثيرة من العالم لم ينتشر الإسلام بحدّ السيف، كما في نيجيريا وأندونيسيا وبنغلادش، بل انتشر بفضل قوافل التجّار والعلماء. أمّا اليوم فتشكّل هذه البلدان معقل الإسلام المتطرّف والعنيف، بسبب المدارس الدينيّة المتطرّفة التي قادت مؤمنيها في طريق غسل الدماغ والخوف من الاختلاف.

وما يُطبّق على القرآن يصحّ على الحديث أيضًا. لا بدّ من جرأة القبول بأنّ الحديث، وتأويل العلماء قد وُضع مكتوبًا بعد قرون من تقليد شفهيّ متناقل ومتوارث، وفي إطار توسّعي للإسلام اقتضى في أكثر الأحيان اعتماد مبدأ العنف من الهند حتّى الأطلسيّ، حتّى أنّ الأجيال نسبت إلى نبيّ الإسلام عددًا كبيرًا من الأحاديث يعلن فيها عن نفسه كمنتصر بالرعب، فيقول البخاري على لسان محمّد «نُصرت بالرعب مسافة شهر» (البخاري في كتاب الجهاد). لقد كان للشيخ الأزهريّ **خليل عبد الكريم** شجاعة وضع هذه الحقيقة في ميزان البحث العلميّ، سائلاً عن طريق عيش الصحابة وثرائهم إثر الغزوات، والتناقضات الكثيرة التي سقطوا فيها (راجع كتابه من ثلاثة أجزاء: شدو الربابة في أحوال مجتمع الصحابة، القاهرة ١٩٩٧). لقد كان لهذا



مقالات



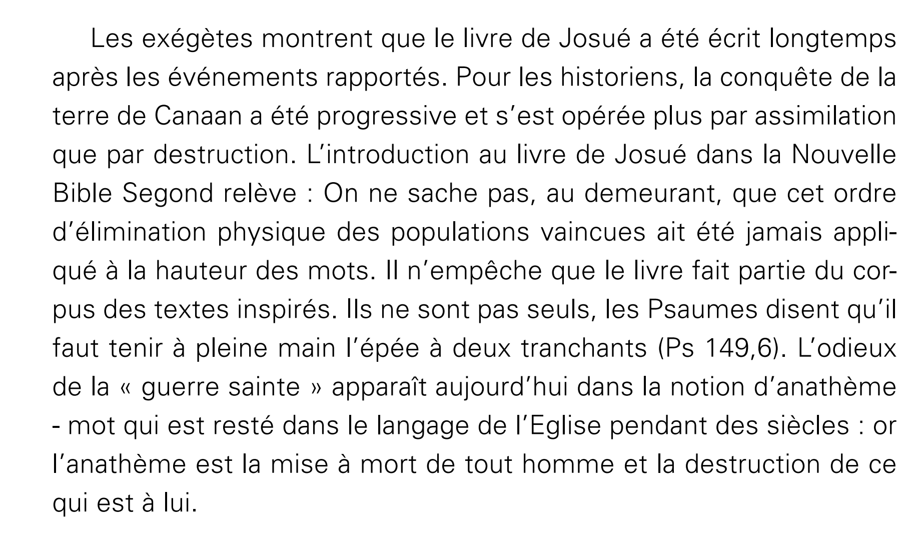
الشيخ المقدرة على التمييز العلميّ بين الإسلام الدينيّ أو العقائديّ وبين الإسلام التاريخيّ، وتطوّره ونموّه في إطار تاريخيّ واجتماعيّ ميّز تلك الحقبة وتكيّف معها بالعنف أحيانًا وبالترغيب أحيانًا أخرى، فدعا مثلاً احتلال عمرو بن العاص لمصر أيّام الخليفة عمر ليس بالفتح الإسلاميّ، بل بالغزو العربيّ الأستيطانيّ، ودعا نبيّ الإسلام مرّات عديدة «المنصور بالرّعب» (راجع المؤلّف نفسه، فترة التكوين في حياة الصديق الأمين، القاهرة ٢٠٠١، ص ٤٧).

هذه القراءة التاريخيّة لا تشكّل تقويضًا لأسس الإسلام الدينيّ، ولكنّها تملك شجاعة القول إنّ الرّعب الّذي مارسه الإسلام في الحقبات الأولى من نشأته وتوسّعه هي حاجة مرحليّة لحقبة معيّنة، لا تصحّ لكلّ الأزمنة وليس من الضروريّ تكرارها اليوم.

هذه القراءة التفسيريّة لنصوص القرآن هي الوسيلة الأنجع اليوم لمداواة وباء التطرّف والسلفيّة العنيفة التي تريد تكرار تجربة الفتح كغزو عنيف ومنظّم في إطار من رعب وعنف، لا السلفيّة اللاهوتيّة التي تريد العودة الى قيم الإسلام التأسيسيّة.

يقع على عاتق المثقّفين إعلاء الصوت أمام خطر الداعشيّة بكلّ أطيافها، من خلال بناء المسلم المؤمن بدينه لا بالعنف، الوفيّ لمعتقده، والمحترم حرّية الآخر في الإعتقاد. التاريخ يسير نحو الأمام، وحده الجاهل والخائف ينزع إلى العودة إلى ماضٍ غبر، يرغب في إعادة اختباره اليوم في زمان لم يعد يتماشى واختبار الأمس. إن لم يرفع المثقّفون الصوت، سيكونون أولى ضحايا صمتهم.





Les exégètes montrent que le livre de Josué a été écrit longtemps après les événements rapportés. Pour les historiens, la conquête de la terre de Canaan a été progressive et s'est opérée plus par assimilation que par destruction. L'introduction au livre de Josué dans la Nouvelle Bible Segond relève : On ne sache pas, au demeurant, que cet ordre d'élimination physique des populations vaincues ait été jamais appliqué à la hauteur des mots. Il n'empêche que le livre fait partie du corpus des textes inspirés. Ils ne sont pas seuls, les Psaumes disent qu'il faut tenir à pleine main l'épée à deux tranchants (Ps 149,6). L'odieux de la « guerre sainte » apparaît aujourd'hui dans la notion d'anathème - mot qui est resté dans le langage de l'Eglise pendant des siècles : or l'anathème est la mise à mort de tout homme et la destruction de ce qui est à lui.

Il y a ainsi, dans les textes fondateurs de la tradition monothéiste, une justification de la violence, à partir de la notion de « terre sainte » et de « terre promise ».

2. Le regard sur l'avenir est également source de violence. En effet, les textes messianiques portent sur le triomphe de Jérusalem qui deviendra la capitale du monde entier et qui verra les peuples venir faire allégeance, selon la parole d'Isaïe placée dans la bouche de Dieu et adressée à Jérusalem : La gloire du Liban viendra chez toi. [...] Ils s'approcheront de toi, humblement, les fils de tes oppresseurs ; ils se prosterneront à tes pieds, tous ceux qui te méprisaient. [...] Tu suceras le lait des nations ; tu suceras les richesses des rois. (Is 60,13-16).

   Faire de Jérusalem la capitale du monde ne va pas sans une justification de l'oppression et de l'exclusion des autres - fâcheux exemple qui a été transposé dans d'autres lieux selon un processus de détermination d'un centre de pèlerinage, lieu saint qui est compris comme le centre du monde. Rome où mènent tous les chemins pour les catholiques et, plus encore, La Mecque pour les musulmans. Si aujourd'hui Jérusalem est au centre des conflits, c'est bien parce qu'il s'agit d'un lieu saint : lieu unique pour des peuples différents que l'histoire a séparés. L'interdiction d'accès au lieu saint pour les infidèles marque la source de la violence. L'infidèle est impur ; il est dans l'erreur ; il n'a pas accès à la source de la vie s'il n'a pas accompli les actes de renonciation à l'erreur.

3. De ces deux points, il résulte que la violence des religions n'est pas le fait d'une déviation, mais qu'elle est liée à leur fondation. Les fanatiques ne font que prendre à la lettre ce qui est écrit dans les textes fondateurs. Les intégristes catholiques ne font que redire ce qui a été enseigné au cours des siècles. Les sectes ne font que renvoyer aux grandes églises leur propre image.

مارون عبّود في «حِبْر على وَرَق»: أصداءُ الخيبة ونشوةُ الحرّية

سيمون بطيش


سيمون بطيش

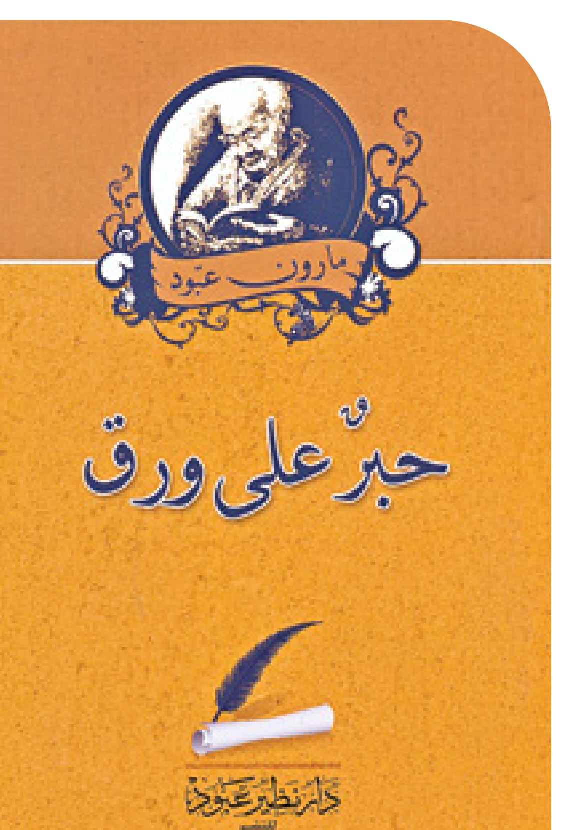
الأدب الاجتماعيّ: تصويبٌ على الإصلاح

المجتمع مثقّفون مُصلحون لهم طرائقهم في استئصال الآفات وفي اجتثاث الأورام الخبيثة. من هؤلاءِ الأنبياءُ والفلاسفة والحكماء ورجال الدّين والفقهاء والأدباء والفنّانون عمومًا. ولعلَّ التعليم والتصويب والهدْي والإرشاد وتقويم الاعوجاج والتوجيهَ وإعادة القطار إلى السكّة هو العنصر المشترك بين هذه الجمهرة من الطليعيّين الذين قامت على مناكبهم الحركاتُ الإصلاحيّة عبر التّاريخ. فغائيّة الأدب لدى بعض المنظّرين، لاسيّما عهد تنامي المدّ الاشتراكيّ في العالم العربيّ إنحصرت في حمل رسالة الإصلاح إلى المجتمع عبر نقده أو انتقاد عيوبه وسقطاته ومكامن ضعفه ومواضع عطبه ومحاولة إخراجه من رثاثته إلى آفاق الحداثة. هذه المدرسة التي عُرِف نتاجها بالأدب الهادف أو الملتزم أو الإنضوائيّ لها خلفيّاتها الفلسفيّة الاجتماعيّة والأخلاقيّة المنبثقةُ من منطلقات سياسيّة معيّنة لسنا هنا بصدد مناقشتها والبحث فيها. فللأدب بحسب هذه النظرة إتجاهٌ واحد هو خدمة الجماعة التي منها الأديب، ورَدُّ الجميل لها. فالإنسان المثقّف إنّما يضع قدراتِه ومعارفَه في مصلحة بني جلدته أوّلاً، ومن ثمّ في خدمة المُثل والأخلاقيّات التي تخدم النّوع البشريّ برمّته. الأدب إذًا أداةٌ للترقية ووسيلة للتقدُّم، ومَهمّة القلم الحضّ والتحريض والتثوير والتوعية والاستنهاض وضخُّ الدم في الشرايين وشحن النفوس بموجات التخطّي... الأدب هنا وإنْ كان يرمي إلى التحديث المستدام إلاّ أنّ وظيفته مرتبطة بمفهومه التقليديّ أيْ تهذيب النفس وتعويدها على المناقب والمآثر والخصال الرفيعة. فعلُ الكتابة هنا سهْم مصوّبٌ سلفًا إلى غرضٍ ثابت بغية تحريكه ونقله من وضعيّة الرسوف والرسوخ إلى وضعيّة الحركة التي فيها البرَكة. من جهتي لست من مؤيّدي هذه المدرسة، لأنّي من الموقنين أنّ الأدبَ كالحياة لا تحدُّه اتجاهات، فكيف باتجاه واحد! وهو كالحياة في منابعه ومصادره وفي مصبّاته ومساقطه، إذا انتقِصت حريّتُه بمقدار ذرّة صار رمادًا.



«حبر على ورق» تجربةٌ أدبيّة في ضوء تحوّلات اجتماعيّة

من هذه المقدّمة التمهيديّة أنتقل الآنَ إلى كتاب «حبْر على ورَق» لـ«مارون عبّود»، وتحديدًا إلى الصفحات الأربع الأولى التي يتألّف منها النصُّ الأوّلُ حاملُ عنوان الكتاب. ومسوِّغ هذا الاختيار أنَّ في هذه الصفحات مجموعة استفهامات وأجوبة تشكّل مرتكزاتِ الأدب الاجتماعيّ التي اختبرها مارون عبّود عمليًّا في مسيرته الأدبيّة والحياتيّة، وكانت له حيال تحوّلاتها الجمّة ومتغيّراتها البنيويّة آراءُ وردودُ أفعالٍ جديرةٌ بالدراسة.



السخريّة المُرّة تعويضًا عن الخيبة

يستهلُّ مارون عبّود كتابه بإيراد مَطلبٍ يطالب به كثيرون، والأدباء هنا هم المطالَبون (بفتح اللام) وليس هو وحده المعنيّ بالطلب. «يقولون لك: أكتبْ». الكتابة إذًا حاجة، وثمّة من الناس الذين يقدرون فاعليّتها مَن يريدُها، ويسألُ القادرين عليها أن يبادروا إليها ويباشروا بها. الكتابة لديهم مقرونة بهدف، وترجى منها غاية، ولا يأتيها إلاّ مَن يُجيدها أيْ من يُحسنُ تحقيق ذلك الهدف أو مقاربة تلك الغاية ولو بالحدّ الأدنى. الطلب هنا أتى قبل العرْضِ خلافًا للقاعدة المعمولِ بها عادة. ولكن يُستشفُّ من ردّ مارون عبّود على طلاّب التدخُّل في الكتابة «وماذا تريدون أن نكتب؟ ومن يقيم وزنًا لما نكتب؟» أنّه وبلسان

أقرانه من الأدباء المعالجين، قد أصيب هو ونظراؤه بشيء من الخيبة بعدما قدّموا العرْض أوّلاً فحبّروا وسطّروا ودبّجوا المقالات في الإصلاح، لكنّهم مُنوا بالفشل، ولم يبلغوا مُرادهم، ذاك الذي تريده الفئة الواعية المثقّفة المطالِبة بالمزيد من الأدب الرّامي إلى التصويب والتصحيح ووضع الأمور في مواضعها. قد يكون مارون عبّود هو أولئك الداعين الإفتراضيّين للكتابة، وبهذا تكون نيّة التدخُّل للإصلاح في خلفيّة مَهمّة الأدب لديه وليس فقط في أبعادها، وليس غريبًا بعدُ أن يوصفَ الكاتب، أيُّ كاتبٍ، من هذا الطراز بضمير الأمّة. خيبته التي يُظهّرها التعجّب، مردُّها إلى (ماذا ومن؟) أيْ إلى موضوعات وإلى أشخاص. الموضوعات لا تُحصى ولا تُعَدُّ، وكلّ ما في المجتمع يستدعي الإصلاح؛ وقد يكون كتب في معظمها، ولكنْ لا حياة لمن تنادي، فليس بين القرّاء مَن يرى للكلمة وقعًا ومكانة ومهابة وحرْمةً... الذنْب ليس ذنبَ الأدباء وهم ليسوا بمقصّرين، فالنّاس تعوّدوا «أن يقرأوا ما كُتِب بالقلم العريض، فما يؤثّر بهم الهمز واللمز؟ الجلود متمسحة، وهيهاتِ أن تغرز فيها الإبر، فلا بدَّ لها من المسلاّت».

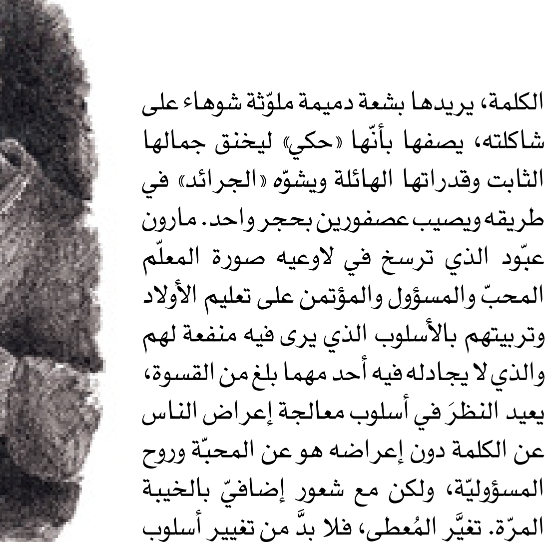
غُرّة عهْد سقوط الكلمة عن عرشها

مارون عبّود الذي صرفَ ردحًا من عُمره في التعليم وفي الصِّحافة (ومفهوم كليهما كان، تقليديًّا، حملَ المعرفة إلى الآخرين كبارًا وصغارًا، أي تعليمَهم وتهذيب نفوسهم وتربيتهم) يلاحظ انقلابًا مجتمعيًّا على المستوييْن العقليّ والنفسيّ. النّاس تعوّدوا قراءة العناوين المباشِرة، المسطّحة، الموجزة. باتوا لا يرغبون في الإطناب ولا في الترميز والتلميح. وكأني به يقول: الناس ما عادوا من ذوي الألباب الذين من الإشارة يفهمون. مارون عبّود يسجّل بهذه الملاحظة، عرَضًا، بدايةَ عصر السرعة والاستهلاك وغرّة عهد سقوط الكلمة عن عرشها الذي كان لها في العقول والقلوب معًا. المجتمع مالَ إلى التحجّر في تعاطيه مع الكلمة، قطعَ كلّ الأواصر القديمة بها، وتغيّرت بالتالي نظرةُ المعلِّم ولغة تأديبه ووسيلةُ تعليمه وتربيته. الردُّ على الماديّة القاسية جاء بقسوة تفوقها، والإبرة ما عادت تفي بالغرَض، صارت المسلّة أولى منها بالإيلام، لأنَّ البشر خلعوا جلودهم وتلبّسوا جلود التماسيح. ألمُ المعلّم يتراءى من تحت غلالة النقد، وتقويمُ الاعوجاج يستلزمُ الطيّ واللّيّ واستخدامَ القوّة الهجوميّة المعنويّة. السخريةُ المبطّنة التي تحمل الإصلاح بأسلوب رائق فيه مداورةُ لطيفة صارت بضاعةً كاسدة وعملةً مزيّفة ولا يتوقّف عندها أحدٌ، بل إنّها لا تفعل فِعلها المأثورَ لها. السخرية المجرّحة المبرّحةُ هي، والحالُ هذه، البديلُ من تلك الناعمة المهادنة. لكنّ مارون عبّود المعلّم لا يلبث أن يغلّب حكمتَه على ألمه مُهتديًا بنصيحة والده، قارئًا في خبرة أبيه درسًا من دروس علماء الاجتماع جديرًا بالتأمّل والاعتبار. يقول «كان والدي يوصي الفلاّح حين يسلّمه الفدّانَ في أوّل الريّ، ألاّ يُكثرَ من النكز بالمسّاس، ويقول له: إسمُه مَسّاس يا نعمه، ومن اسمِه تعرفُ كيف تستعمله. الفدّانُ الذي تنكزه دائمًا يتعوّد، وهناك البلاء» وسيلة الإصلاح هنا تربويّة، رفيقة، تجنحُ إلى اللين، فيما كانت قبل هذه السماحة مباشرة غليظة، عنيفة وموجعة. لكنَّ ما يجمع هاتين الوسيلتين المتناقضتين المعتمدتين في تأديب المجتمع وافتضاح عيوبه هو تلك السخرية الحادّة التي تذهب في التعامل مع الواقع الشاذّ مذهب التحقير، علَّ الكرامة تصحو والإباء يستيقظ. فالنّاس كالتماسيح في أحاسيسهم، والنعْر بالمسلاّت قد يبلغُ مشاعرهم وقد لا يبلغ؛ ومجرّد الإتيان على ذكر الفدّان والمسّاس في مجال التربية، ولو على سبيل المثال، هو لطخة عار بحقّ المجتمع والإنسان.

تحليل القسوة للمعلّم القياديّ

البلاء الذي يعانيه المجتمع، لا يقف مارون عبّود متفرِّجًا عليه. إنّه عاهة أو معضلة مستشرية متفاقمة لا بدَّ من التصدّي لها بأيّ طريقة. من هنا أنَّ مارون عبّود يحلِّل لنفسه مسَّ العلّة التي تستهدف المجتمع بمبضع يسيل على جوانبه الدم، ولكن من أجل أن يسلم الشرف الرفيع ولا يعمّ البلاء ويتمدّد. القسوة التي تشارف الإهانة لها أسباب تخفيفيّة، والقوّة التي تداخلها الوحشيّة والشراسة قوّة دفاعيّة يشفع بها الحقّ بالوجود، الوجود الذي لا يعتوره عيب وفق سلّم القيم التي تدين بها النخبة المثقّفة الرائدة- والأدباء في طليعتها- والتي لها حقّ قيادة المجتمع. هذه القسوة هي الوجه الآخر للحبّ، هي الصورة السالبة للخير العامّ وللمصلحة العليا وترجمتها في التربية- في القرن الماضي- صفعة خفيفة على خدّ ابن طائش أو ضربة مسطرة على راحة تلميذ كسول من أب أو معلّم لا يريد للغرسة الطريّة أمامه إلاّ أن تأتي بثمار جيّدة يستعذب الناس لونها وطعمها وشميمها ويذكرون بالخير غارسها.

هذا التأرجح ما بين اللين والقسوة حسمه مارون عبّود بالنظر إلى انقلاب المقاييس الأخلاقيّة في المجتمع مفصحًا عن اعتقاده «أنّ كثرة الكتابة، ولاسيّما تلك التي تُكتب بالنبّوت، لا تؤثّر بأحد، خصوصًا في هذا الزمن الرديء الذي انهارت فيه المُثُل العليا وقلَّ الحياء. ألا يسمّون الكذّاب داهية، والدجّال سياسيًّا، والوصوليّ ألمعيًّا، والانتهازيّ عبقريًّا، والأَنوف الأَبيَّ حمارًا لا يعرف يعيش؟». الكتابة التصادميّة والقلم الذي ينزل على القرّاء نزول الصاعقة فقدا فاعليّتهما، لأنَّ الفيروس صار أقوى من المضادّات الحيويّة كلّها، تلك التي كانت تحدّ من شراسته أو من تفاقم خطره، قبل أن يستقوي عليها جميعها. أدرك مارون عبّود بحسّه الاجتماعيّ المرهف أنَّ الانهيار الخلقيّ بات مريعًا لدرجة أنَّ الكلمة تعطّلت قدراتها وصارت أعجز عن أن تؤدّي وظيفتها المنوطة بها منذ بزوغ الحرف في الدنيا. تغيّرت المفاهيم تغيّرًا جذريًّا وعصفت الفوضى بكلّ الأسماء والمسمّيات، فلا حول ولا قوّة للأديب في صدّ هذه العاصفة الهوجاء باللغة المشحونة فكرًا ونصحًا ومحبّة. عقليّة جديدة نشأت في عصر الاستهلاك لا تحترم قواعد التعليم والتربية التي تحكّمت بتشكيل البنى الاجتماعيّة على مدى قرون. مدٌّ هائل جرف في طريقه ما كان لأزمنة وعصور مرتكزات للحياة وأسسًا، وأطاح بالكلمة فأجهز على ما يعتبره المصلحون من الأدباء عُدّتهم وسلاحهم. وفي هذا السياق يتذمّر مارون عبّود بلسان أهل القلم فيقول «ماذا تريدون أن نكتب لمن يطمسون ما نسطّر بكلمة عابرة: حكي جرايد». حتّى الصحافة المكتوبة خسرت صدقيّتها، وصار يُستهزأ بها على أنّها بلا أهليّة ولا تتمتّعُ بمقوّمات الوجود والبقاء. كلٌّ من المعلّم والصِّحافيّ غدا مهيضَ الجناحين، لأنَّ وسيلة تعبيره التي بها يُحرِّرُ خواطره وخلجاته من مكامنها أضحت جثّة. الكتابة بفعل هذا الانقلاب الأخلاقيّ المريع تحوّلت حراثة للماء ونفخًا في الهواء، لا خير يرجى منها ولا جدوى. الرياء الاجتماعيّ قضى على نظافة

الكلمة، يريدها بشعة دميمة ملوّثة شوهاء على شاكلته، يصفها بأنّها «حكي» ليخنق جمالها الثابت وقدراتها الهائلة ويشوّه «الجرائد» في طريقه ويصيب عصفورين بحجر واحد. مارون عبّود الذي ترسخ في لاوعيه صورة المعلّم المحبّ والمسؤول والمؤتمن على تعليم الأولاد وتربيتهم بالأسلوب الذي يرى فيه منفعة لهم والذي لا يجادله فيه أحد مهما بلغ من القسوة، يعيد النظرَ في أسلوب معالجة إعراض الناس عن الكلمة دون إعراضه هو عن المحبّة وروح المسؤوليّة، ولكن مع شعور إضافيّ بالخيبة المرّة. تغيَّر المُعطى، فلا بدَّ من تغيير أسلوب التعاطي مع المستجدّات.

رفض استرقاق الكلمة وإصرار على الكرامة

وفي مقارنة سريعة بين اليوم والأمس، يرى مارون عبّود أنَّ المتّهَم، حاضرًا، إذا أشير إلى مساوئه في الصحف «قال يعتذر عن ذلك: إرضاء الناس صعب. المسيح لم يُرضِ كلَّ البشر وما سلمَ من لسانهم...» ولا يلبث أن يُرى في مناسبة اجتماعيّة عامرة «وقد أقيمت برعايته، فكالوا له المديح بالمد». الكلمة إذًا صارت حرباء بألف لون ولون مموّهة بالمآرب والمصالح وفي حالة يُرثى لها. الواقع أنَّ المجتمع أولى بالرثاء، وما انحطاط أهميّة الكلمة سوى الوجه الآخر للأخلاق المنحطّة. الرياء الاجتماعيّ كان أقوى من الكلمة البريئة الصّادقة فاستلحقها به واسترقّها وأفقدها بكارتها. أمّا الماضي فيترحّم عليه مارون عبّود حيث كانت الكلمة كالأخلاق ميزانًا للعدالة ترفع أناسًا وتُخفض آخرين «أمّا في هذه الأيّام، فمن يُطعَنْ به يضحك ويهزأ، والذي تمدحه لا يبالي».

بعد الاستفهام بـ«ماذا؟» و«من؟» جاء الاستفهام بـ«لماذا؟» «وبالهمزة» لماذا أكتب؟ «ألأعيش؟» وهنا تتراءى نقمة مارون عبّود على المجتمع ممزوجة بالاحتقار لانقلاب معايير العدالة، حيث انقلبت المقاييس رأسًا على عقب، حيث صار «صاحب النبّوت أرفه منّي حالاً... والمقامر أحرى منّي بالحظوة... والماجن أقرب إليهم..» وعلى هذا الظّلم المؤسّس على الفساد الأخلاقيّ جاء ردّ مارون عبّود مجرِّحًا دون رحمة ولا هوادة يصيب المفسدين والفاسدين والضّحايا على السّواء، فإنَّ صاحب النبّوت أي الكاتب المأجور المستقوي بالفجور يعاملُ كالبهيمة على أيدي أسياده «فيعلفونه ويظلّ معلوفًا..» هو عالم تقلّص فيه دورُ الأديب الحقّ بل وجودُه، وسادته المصالح وعلاقات القويّ بالضعيف والمتخم بالجائع. ولعلَّ أصدق ما يعكس اعتراف مارون عبّود بالإحباط والشعور بالمرارة قوله «إنّنا في بلد، آخر الناس فيه رتبة، حامل القلم». والمؤلم في الأمر أنَّ هذا الواقع استمرار لمقولة شاعت قديمًا عن الرثاء لحال الأديب وهي «أدركته حرفة الأدب» فلا شيء تغيّر، وما كان موضع هزء ما زال على حاله، ومن لابسته الشفقة قرونًا صارت له عنوانًا في كلّ زمان. وبالرّغم من عودة الوصمة «التاريخيّة» التي تساوي الأديب بالفقير المدقع إلى السيرورة من جديد، فإنَّ مارون عبّود يصرُّ على معنى الكرامة برفض هذه اللطخة المعيبة التي يروّج لها مجتمع ماديّ يحصر قيمة الفرد بما في الجيب، ويصنّف الأديب في أسفل الهرم الاجتماعيّ... ويرثي لحاله.

مارون عبّود يردّ على الخيبة بالاحتماء بالحريّة

هذه الحقيقة العلقميّة تجرّعها مارون عبّود بواقعيّة؛ فهو آثر في البداية ألاّ يخوض هذه الغمرات، لأنّه على حدّ قوله لا يحسن الشتم والسبّ، ويضيف «ونحن في زمن لا يفهم ناسه إلاّ هذه اللغة، وأنا لا أحسنها»، ويستدرك بالقول «ولكنّ أحرار هذا الزمان تعوّدوا التقريع». التحقير والتجريح اللذان عمد إليهما مرارًا هما عُدّة التقريع والتوبيخ والتبكيت التي لا يتورّع مارون عبّود عن اللجوء إليها دفعًا لسوء أو قطعًا لدابر علّة تفتك بالجسم الاجتماعيّ. التقريع حقٌّ مباح من حقوق المعلّم والصّحافيّ كرّسته لهما الأعراف والعقليّة المجتمعيّة التقليديّة، أمّا السباب والشتم فحاشا أن يقربهما من يعلّم الأدب، ومن رُفِع إلى مرتبة القدوة والمثال الأعلى في قومه.

ولأنّ مارون عبّود لا يجد للكتابة جدوًى، قال «ولهذا جعلت عنواني الدّائم: «حبر على ورق» العنوان الدّائم ترجمة للمعتقد الدّائم والثّابت. إنّه على يقين أنَّ سطوره مكتوبة بماء، وأنّ «لحبر والورق أخوان»، وقديمًا قيل بأسلوب تعجّبي يفيد العبثيّة «على من تقرأ مزاميرك يا داود؟!». ولعلَّ أهمَّ ما في هذا النصّ على الإطلاق ذكره «أحرار هذا الزمان»، الذين يستحيل على موبقات هذا العصر جميعها أن تسلبهم حريّتهم وأن تكمَّ أفواههم وتشلّ أقلامهم. طعم الخيبة مرّ، لكنَّ نكهة الحريّة أحلى من الشهْد. إنّه عزاء المبدعين في كلّ عصر ومصر يقولون كلمتهم ويمشون، «ومن له أذنان سامعتان فليسمعْ».

الأدب الاجتماعيّ يرمي إذًا إلى التعبير الحرّ عمّا يراه الكاتب عيوبًا أو نقائص أو عللاً تنخر كيان المجتمع وتتهدّده بأوخم العواقب. وما همّ إنْ أخذ أولو الأمر بالطروح التقدّميّة أو أهملوها، إنْ توقّفوا عند النقد أو الانتقاد أو تجاوزوهما بلامبالاة. يكفي الأديب أنّه يمارس حريّة الكتابة بغضّ النظر عمّن يفيد منها، وتكفيه قلّة متنوّرة تتلقّف سطوره تلقّف الأرض العطشى للريّة الأولى حتّى تنبت أفكاره وتزهر وتعقد ثمرًا فيه حلاوة جديدة. وفي هذا السياق يقول مارون عبّود «إنّ الكلمة لا تصير جسدًا ما لم يتقمّصْها القارئ وتحلَّ فيه»، وهذا أيضًا عملٌ إراديٌّ حرّ.

وكما افتتح النصّ الافتتاحيّ باستفهام مشحون بالخيبة، يختتم مارون عبّود مقالته بالاستفهام المعبّر عن التهكّم والنقمة والألم من قارئ جاهل أنانيّ مقيت بعيد كلّ البعد عن القارئ المثقّف الجليل الذي يعرف قدْره.

مارون عبّود خذله المجتمع معلّمًا، لكنّه ربح في أدبه الاجتماعيّ أغلى كنوز الدّنيا: الحريّة. نظرته إلى الأدب الاجتماعيّ تحرّرت من محدوديّة الاتجاه الواحد، وهذا أحد وجوه فرادته وأحد أسباب شغفي بقلمه.

التقارُب في المُستَوَى الفنِّيّ والمشارَكَة في تَكوين تُراثٍ جَديد

الأب خليل رحمة ر.م.م.
رئيس جوقة ومعهد الموسيقى في جامعة سيِّدة اللويزة



المعروفُ عن الفَنِّ المارونيِّ أو الموسيقَى المارونيَّةِ السُريانيَّة، أنَّها موسيقى بَسيطَة في بُنْيَتِهَا، ومَحْصورة في المجال الصَوتيِّ الضَيِّق. إنَّها الصورَة العامَّةُ لِموسيقانَا المَوْروثَة أصلاً شفَهِيًّا، وبقِيَت أجيالاً غيرَ مُدَوَّنة وعُرضَةً لِتغيُّراتٍ مُتلاحِقَة وتأثيراتٍ جاءَتْها مَعَ كُلِّ تَغييرٍ كان يطرأُ عَلَى المِنطَقَة (التأثير العربيّ، الفارسيّ، اللاتينيّ، البيزنطيّ، العثمانيّ،...)، لَكِنَّها استطاعت المُحافَظَة على جوهَرِها الأساسيّ الَّذي وَرِثْنَاهُ وما زِلنا مُسْتَمِرِّين بهِ حتَّى يَومِنا هذا.

اليوم، وَبعدَ جميعِ التداخُلات الَّتي شَهدناها، نَشهدُ تَدَخُّلاً مِن نوعٍ آخَر ناتِجًا عن الانفتاحِ العالَميِّ الجَديد الَّذي يَشهدُه العالم بأسرِه والَّذي يضَعُ الموسيقى من ضِمْنِ خاناتِهِ الأساسيَّة، لأنَّها لُغَةُ العالَمِ أجمَع، ولأنَّها تَدخُلُ جَميعَ المُجتَمعاتِ مِن دون إذنٍ مُسبَق. فاختلَطت جَميعُ الثَقافاتِ الموسيقِيَّة بَعضُهَا بِبعض وتَداخَلت إلى حَدٍّ كبيرٍ عَالمِيًّا، بِحَيثُ أصبحَت الآلاتُ الموسيقيَّة غيرَ مَحصورَة بِمجتَمعاتٍ أو بيئَاتٍ أو مَناطِقَ مُعيَّنة. لَكِنَّنا كَشرقِيِّين، وحتَّى الآن، نتفرّدُ بنَغماتِنَا الصَوتِيَّةِ الَّتي تُمَيِّزُنَا عَنِ العالَمِ بأسرِه، والَّتي بِفَرادَتِهَا تُلَوِّنُ تُراثَنَا بما لا وُجُودَ لَهُ عِنَد غَيرِنَا في العالَم. فاليوم، وَمَع كُلِّ مَا يَجُولُ مِن حَولِنَا، مَطلوبٌ مِنَّا المُحَافَظَةُ عَلَى هذا التُراثِ الثَمِينِ إنطِلاقًا مِمَّا أَوْصانا بِهِ المجمَعُ الفاتِيكانِيُّ الثاني(١)، وذَلِكَ مِن خِلالِ التَركيزِ عَلَى الثَقافَةِ الموسيقِيَّة لِلأجيالِ الجَدِيدَة، هَذِه الثَقافَةِ الَّتي يَجِبُ أن تُلازِمَ أجيالَنَا عَلَى النَحو الَّذي تُلازِمُ الأجيالَ الغَربيَّة. فالموسيقى هي ثَقَافَةُ الروح النابِعَةُ مِن أُسُسِ الثَقافَةِ العامَّة، مَعَها نَستَطِيعُ الوُصُولَ إلى مَا يُسمَّى بالتَقارُبِ في المُستَوَى الفَنِّيّ المَطلوب، إن عَلَى الصَعيدِ المَحَلِّيّ أو العالميّ. لِذا عَلَينا التَعامُلُ مَعَ الحاضِرِ بِمَا يَتطَلَّبُهُ مِنَّا، وَعَدَمُ الانغِلاق عَلَى الذات والاكتِفاءِ بِمَا لَدينَا، لأنَنَا بِحاجَةٍ إلى الثَقَافاتِ الأُخرى لِنُنَمِّيَ ثَقافَتَنا، وَهذا لَيسَ بِالمُعيب، لأنَّنا جميعًا نَعلَمُ بأنَّ موسيقَانَا المَارونِيَّة لَيسَت مُتكامِلَةً أو تَحمِلُ قَوانِينَ وَقواعِدَ وأهدافًا، لأنَّها ذاتُ لُغَة موسِيقِيَّة خَاصَّة تُجيبُ عَلَى مُتَطَلِّبَاتِ وَحاجَاتِ لِيتورجِيَّتنا بأبعادِهَا الطَقسيَّة. فالانْفِتاحُ يُغْنِي، وَالتَطَوُّرُ يُفِيدُ، إذا مَا عَرفنا طَريقَ استِعمالِهما والاستِفَادَةِ مِنهما.

مَعَ ما تَقدَّم، أُريدُ أن أُؤَكِدَ أنَّ الأساسَ هُوَ التُراث، وَمَا مِن جَديدٍ يَدومُ إلاّ إذا كَانَ مَبنِيًّا عَلى تُراثٍ مَتين، وَنَحن نَملِكُ هَذا التُراث المَتِين، وَمَا نَعْمَلُ عَليهِ حَالِيًّا، وَبالتَعاوُنِ مَعَ بَعضِ الأساتِذةِ الكِبار في الموسيقَى، هُوَ لِتأكيدِ وَتَثبيتِ تُراثِنَا ضِمنَ الأُطُرِ والمَقاييسِ الموسيقِيَّةِ الصَّحيحَةِ المَعْمُولِ بِهَا عَالَمِيًّا، لِنَصِلَ إلى المُستَوى المَطلوبِ.

فَمُنذُ عشرِينَ عَامًا تَقرِيبًا، وأنا أعمَلُ لِلوُصولِ إلى هَذا الهَدَف؛ فكانَ التَعاوُنُ الأوَّلُ مَعَ الأُستاذ توفيق سُكَّر، الَّذي يُعتَبَرُ مِن أوائِل مَن عَمِلَ وَحافَظَ عَلى التُراثِ المَورُوثِ وَتَحْديثِهِ ضِمْنَ قَواعِدَ عَالمِيَّةٍ جديدَة، وهيَ مَا بَدأ مُجتَمَعُنا يَتقبَّلُهَا حَديثًا. والمَجْهودُ الكبيرُ مَع الأستاذ سُكَّر تَابعَتُهُ مَعَ الأستاذ جوزف فَخري، الأستاذِ الضَليعِ في الموسيقَى العَالمِيَّة، ولاحِقًا مَعَ الأساتِذة إياد كنعان وجهاد زيدَان، وأخيرًا (وليسَ آخرًا بإذنِهِ تعالى) مَعَ الأب فادي طوق الأنطونيّ... فمَعَ الجَميع كَانَ العَمَلُ ضِمنَ الشُرُوطِ الَّتي تَضَعُهَا كَنيستُنَا والموسيقَى العالمِيَّة؛ ولَم نَخرُجْ يَومًا عن هَذِهِ المَبادِئ وَالمَعايير (خصوصًا المجمع الفاتيكانيّ الثاني(٢))، حتَّى أصبَحنا اليوم نَحمِلُ مَنْهَجًا يُقْتَدَى بِهِ مِن جَمِيعِ مَن يُحاوِلُون سُلُوكَ هَذا الطَريق.

عَمَلُنَا دَؤُوبٌ في تَطويرِ تُراثٍ جَدِيدٍ مَبنِيٍّ عَلَى الأُصولِ التُراثيَّة، وَبَعيدٍ عَن أيِّ تَأثُّرٍ بالكَنَائِسِ الأُخْرَى، وخُصوصًا البَعِيدَةِ كُلَّ البُعد عَن مَنَاخَاتِنا (وهي تَغْزُو مُعْظَمَ جَوقاتِنَا المارونيَّة وَرَعايانا مِن دونِ رادِعٍ أو مَن يَسْأَل). ونَحنُ نَعمَلُ ضِمنَ شُرُوطِ المَجمَعِ الفاتِيكانِيِّ الثاني بِكَامِلِ بَنُودِهِ الليتورجِيَّة المُتَعَلِّقَةِ بِنَا، وفي إطار تَعالِيمِ كَنيسَتِنا المارونيَّة.

عَلَى سَبيلِ المِثال: مِن الألْحَانِ الجَدِيدَةِ الَّتي نَظَمْتُها في السَنواتِ الأخيرَة وأصبَحَت مَعروفَةً لَدى الجَميع: لَحن «هللويا، بضَيعَة زغيرة منسيِّة»، الموضوع أصلاً عَلى وزن فشيطو السُريانيّ؛ فَكُلُّ مَن يَسمَعُهُ، يَستَشْعِرُ لِلوَهلَةِ الأُولَى نَغْمَةً غَربِيَّةً كامِلَةً ونَفْحَةً لاتينِيَّةً، على ما عبَّرَ بَعضُهُم ... في حِينٍ هُو عَكسُ ذلِكَ كُلِّيًّا، لأنَّهُ نابِعٌ مِن حرصي عَلَى المُحافَظَةِ عَلى التُراثِ القَديم وعَلَى النَغْمَةِ المارونيَّة الأصيلة؛ فقد انطلَقتُ باللَحْنِ مِن نَغْمةٍ مَارونِيَّةٍ أساسِيَّةٍ صارت رَكيزَةَ اللَحْنِ الجَدِيد، وهي طِلبَةُ العَذراءِ المارونيَّة: كيرياليسون.

وهنا، أدعو الجَميع إلى الانفتاحِ عَلَى الموسيقَى الأُخرى، مُوسيقى «الغَير»، لأنَّهَا تُغنِي الذاكِرَة والثَقافَة، وتُضْفِي تَنَوُّعًا يَزيدُ الموسيقَى رَوْنَقًا. وهذا ما اعتَمَدتُهُ مَعَ جوقة جامِعَة سيِّدَة اللويزة مُنذُ تَأسيسِها: عدَمُ الركون الى اللَونِ الواحِدِ في الحفلات، بل التزامُ التَنَوُّعِ لإضْفاءِ جَوٍّ مِن الراحَةِ والمتعة والجدّة على الحضور. فَكنتُ في جَميعِ الحفلات، أنشِدُ لأكبَرِ عَدَدٍ مِن الملحِّنين المَحَلِّيِّين والعالمِيِّين، ومِن جَمِيعِ الألوان. فِي حَفَلاتِنا، الحاضِرُ يَسْمَعُ تَرانِيمَ للرهبانيَّةِ اللبنانيَّة والأنطونيَّة ولمُلَحِّنينِ لبنانِيِّين، مِن دونِ حَصْرٍ بي أو برهبانيّتي،.. ما كان يَلقَى التَرحيبَ مِن جميعِ النُقَّادِ والمستمعين. إنَّهُ الانفِتَاحُ عَلَى الآخَر ضِمنَ الطَائِفَةِ الواحِدَة، وعَلَى الثَقافاتِ العالِمِيَّة، في آنٍ معًا.

وبَعدُ، أسألُ الجميعَ السَيْرَ مَعَنا في هذا النُموِّ الجَدِيد الَّذي نَحن مَدعوّونَ إليه. اليوم، وبَعدَ الغَزْوَةِ الأخيرَة الَّتي لا تُشْبِهُنا. مُجتَمَعنا بِحَاجَةٍ إلى إعادَةِ لَمْلَمَةٍ حَقيقيَّةٍ. تُراثُنَا هُوَ كَنْزُنَا، وَجَدِيدُنَا هو ثَرَوتُنا، بِهمَا نَنَطلِقُ لِبِناءِ ثَقَافَةٍ مَارونِيَّةٍ مطّردةٍ نَفتَخِرُ بِهَا.

*إلى هذه الكلمة، شارك بها الأب خليل رحمه في إحدى حلقات الحوار، التي أدارها في معهد القدّيسة رفقا- جربتا، في مهرجان الموسيقى، ٢١ و٢٢ حزيران ٢٠١٤، تحت عنوان «**الصداقة بين الجوقات**»،.. فقد كان لجوقة جامعة سيّدة اللويزة الّتي يديرها نصيبُ افتتاحِ الحفلِ الموسيقيّ الذي اختُتم به المهرجان، والذي أحياه أيضًا جوقات: الصوت العتيق بقيادة الأب ميلاد طربيه، ر.ل.م.- الفيحاء بقيادة باركيف تاسلاكيان- AYC بقيادة زاكار كيشيشيان- GROONG بقيادة إدوار طوريكيان- القدّيسة رفقا بقيادة الأخت مارانا سعد، ر.ل.م.*

*واستطرادًا، ولكن في سياق ما أشار إليه الأب رحمه من انفتاح على الآخر تشاركًا وتلاقحًا واغتناءً، فقد قدّم مع جوقة الجامعة، وفي الجامعة بتاريخ ١٧ حزيران ٢٠١٤، حفلاً من الفولكلور اللبنانيّ (توفيق سكّر) والفولكلور الفرنسيّ (Bertrand Robilliard) تحيّةً لخمسينيّة هذا الأخير، رعاه السفير الفرنسيّ لدى لبنان Patrice Paoli، تحت عنوان: «**رحلة ما بين بيروت وباريس**»، بإدارة Denis Dubois.*



«الصداقة بين الجوقات»



«الصداقة بين الجوقات»


«رحلة ما بين بيروت وباريس»


«رحلة ما بين بيروت وباريس»

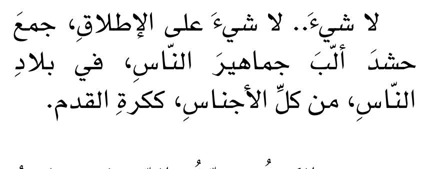
(١) المادَّة ١١٥: «فَلْتُعْنَ الإكْليركِيَّاتُ وأَدْيرَةُ ابْتِدَاءِ الرهْبَانِ وَالراهِبَاتِ وَدُوْرُ التدْرِيسِ وَمَا سَاوَى ذَلِكَ مِنَ المَعَاهِدِ الكَاثُولِيكِيَّةِ، بِالثقافَةِ المُوسِيقِيَّة، فَلْيُؤَهَّبِ الأَسَاتِذَةُ بِاهْتِمَامٍ بَالِغٍ لِتَعليمِ المُوسِيقَى المُقَدَّسَة، وَلْيُوصَّ بِإنْشَاءِ مَعَاهِدَ عُلْيَا لهَا، وَلْيُوَفَّرْ لِلأَوْلادِ ثَقافَةٌ طَقْسِيَّةٌ أَصِيلَة...»
في المادَّةِ ١١٩، أَشَارَ إلى أَنَّ لِبَعْضِ الشعُوبِ في مُخْتَلَفِ المَنَاطِق، وَلاسِيَّمَا في بِلادِ الإرْسَالِيَّات، تَقْلِيدًا مُوسِيقِيًّا خَاصًّا، لَهُ مَكَانَةٌ كَبِيرَةٌ في حَيَاتِهم الدينِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّة. فَلْتُولَ هَذِهِ الموسِيقَى مَا يَجِبُ لَهَا، وَلْتُعْطَ المَحَلَّ اللائِقَ بِهَا، سَوَاءً في تَربِيَةِ شُعُورِهِم الدينِيّ أَو في تَطْبِيقِ العِبَادَةِ عَلَى مَزَاجِهِم وِفقًا لِلمَادَّتَين ٣٩ و٤٠.

(٢) المادَّة ١٢١: «عَلَى كُلِّ مُلَحِّنٍ جَدِيدٍ أَن يَكُونَ مُشْبَعًا بالروحِ المسيحِيَّة، وَأَن يُدْرِكَ أَنَّهُ مَدْعُوٌّ لِلتمَرُّسِ بالموسِيقَى المقَدَّسَة، لإِنْمَاءِ كَنْزِهَا، وَأَن تَكُونَ أَلْحَانُهُ مُتَّسِمَةً بِطَابَعِ الموسِيقَى المقَدَّسَة، وَتَسْتَطِيعُ الجَوْقَاتُ إِنشَادَهَا مَهْمَا كَانَت مُسْتَوَيَاتُهَا التقَنِيَّة، وَتُعَزِّزُ في جَمَاعَةِ المؤمِنِينَ اشْتِرَاكَهَا الفَعَّالَ في الصلاة».

براعم

كرةُ القدم

ج. م.



لا شيءَ.. لا شيءَ على الإطلاقِ، جمعَ حشدَ ألّبَ جماهيرَ النّاسِ، في بلادِ النّاسِ، من كلِّ الأجناسِ، ككرةِ القدم.

هذه الكرةُ تدوّخُ الرّؤوسَ، تلهبُ الأكفَّ، تفجّرُ الحناجرَ، تقيمُ تُقعِدُ تميّلُ الأجسادَ، توقِعُ بين المحازبين حزازاتٍ شغبًا أو فتنًا،.. وكم من مالٍ يُبذَلُ في سبيلِها، وكم من مالٍ يُحصَدُ!

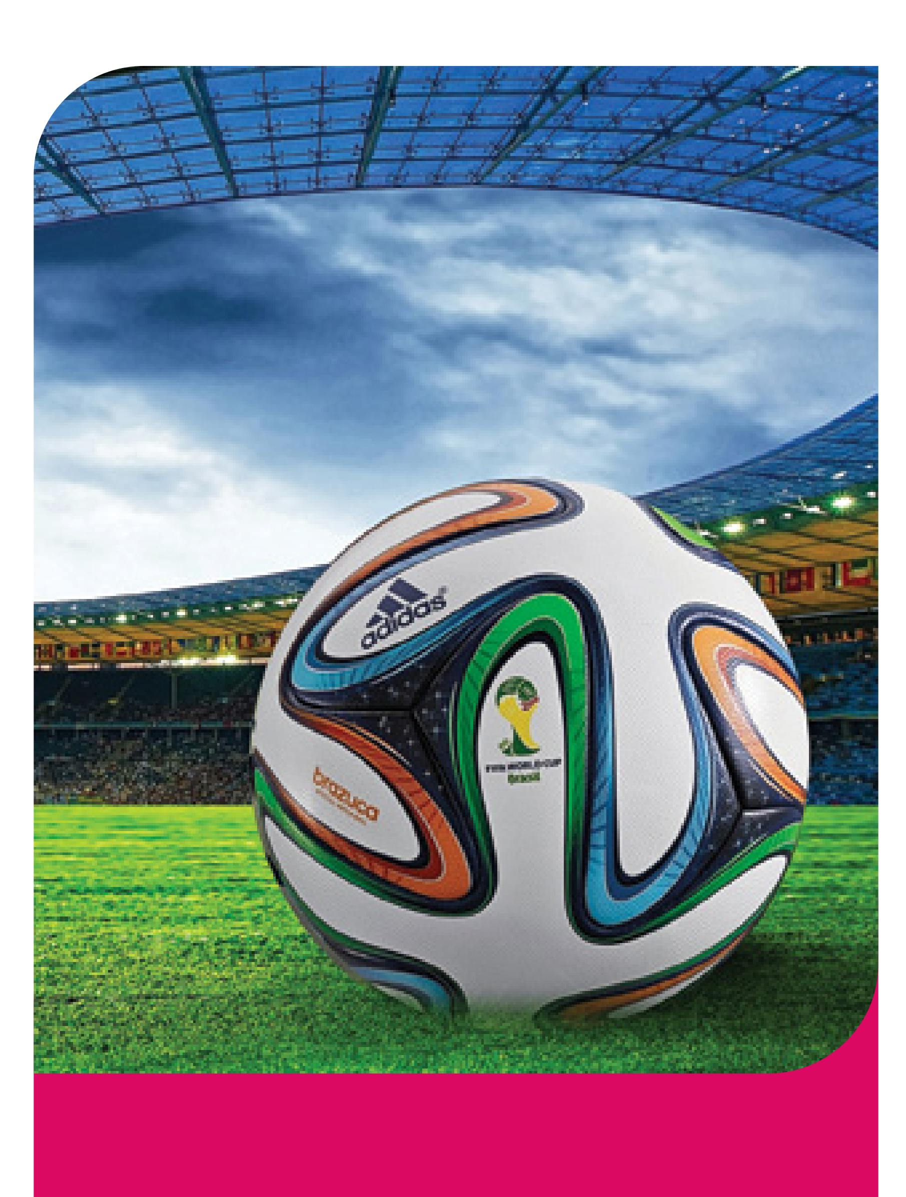
كرةُ القدمِ، في مواسمِها، كلقمةِ العيشِ تُطلَبُ.. وقد تتقدّمُ: إلى ملاعبِها تُقطَعُ المسافاتُ، تهونُ المشقّاتُ والأوقاتُ والمدَّخراتُ؛ وفي السّاحاتِ، تُنصَبُ لها الشّاشاتُ؛ وفي البيوتِ والمقاهي، تَنقطعُ لها الشُّلَلُ...

فلا عالمٌ ولا شاعرٌ، ولا زعيمٌ ولا بطلٌ، ولا نبيٌّ أو وليٌّ أو قدّيسٌ أو رسولٌ،.. يحظى بمثلِ ما تحظى هذه الكرةُ..، لَكأنّها للأرضِ.. للكرةِ الأرضيّةِ، لغةٌ جديدةٌ ودِينٌ جديدٌ!

وما الحديثُ عن أممٍ متّحدةٍ، في ما نرى إليها من عجزٍ حينًا وتقصيرٍ حينًا وانحيازاتٍ أحيانًا، إلاّ هذه البقايا، بقاياها، تنتشرُ على شرفاتِنا وسيّاراتِنا، وفي الأكشاكِ والحوانيتِ، أعلامًا وأعلاما...

هذه الكرةُ تُفدَّى بالكِراءِ والكَرى.. بالفلوسِ.. بالهوَسِ.. بهَيْجةِ النّفوسِ! وقد كانت هوايةً وتسليةً في أحياءِ الفقراءِ، فصارت صناعةً واحترافًا واستثماراتٍ في عوالمِ الحكوماتِ والأغنياءِ!!

تُراها الشّعوبُ تَبحثُ أبدًا عن مثالٍ في الصّراعِ وفي الرّهانِ، فكانت ميادينُ، وكانت مدارجُ، وكان الفوزُ بقصَبِ السَّبقِ.. بحفنةِ الذّهبِ.. ببنتِ الملكِ.. بأيِّما لقب...؟!



صرخةُ غضب...

جوويل شدياق
طالبة رياضيّات - السنة الثانية

أيًّا كنتُ وكنتَ.. ممنوعٌ عليك أن تعرفَني، فقط، لأنّني بنتُ فلان.

ممنوعٌ عليك أن تلبّيَ رغباتي، فقط، لأنّني أملك ما لا تملك من مال.

ممنوعٌ عليك أن تباركَ باسم الله، وأنت لم تعرف الله يومًا، أو أنّك عرفته في ملذّاتِ الدُّنيا إلهًا لك، إلهَ أصنام.

ممنوعٌ عليك أن تجعلَ من نفسك قائدًا وهميًّا مزيّفًا، وأنتَ العدلُ و الحقُّ والكرامةُ.. فقط صوتٌ منادٍ رنّان.

ممنوعٌ عليك أن تخطبَ باسم شعبٍ، لم ولا تريد أن تعرفَهُ، من أجلِ وطنٍ قد جرّحتَهُ وخنتَهُ طوال الأيّام..

ممنوعٌ عليك أن تكونَ أكثر غشًّا وكذبًا وإذلالاً... تبًّا لهذه الإنسانيّة فيك يا إنسان. ففي ما خلَّدَه شرُّكَ ما يكفي من حقارةٍ وآلام..

ممنوعٌ عليك أن تعلوَ بنجاحِ غيرك، وأن ترتاحَ بعرق غيرك مهما كان..

ممنوعٌ عليك أن تُشرِّعَ حقوقَ الانسان، وأنتَ بالانسانِ تستهزئُ وكأنَّه حيوان.

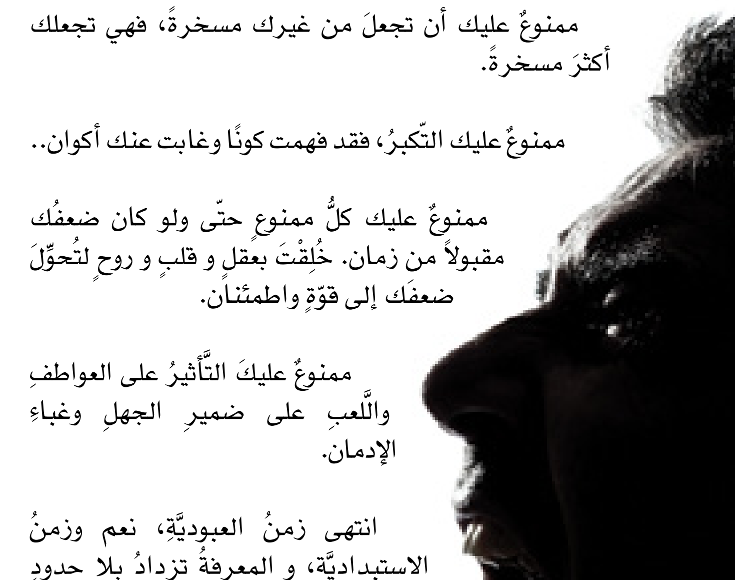
ممنوعٌ عليك كلُّ ما هو ممنوعٌ على غيرك، فلا تختلف طبيعتك البشريّة عن أيّ إنسان..

ممنوعٌ عليك أن تجعلَ من غيرك مسخرةً، فهي تجعلك أكثرَ مسخرةً.

ممنوعٌ عليك التّكبرُ، فقد فهمت كونًا وغابت عنك أكوان..

ممنوعٌ عليك كلُّ ممنوعٍ حتّى ولو كان ضعفُك مقبولاً من زمان. خُلِقْتَ بعقلٍ و قلبٍ و روحٍ لتُحوِّلَ ضعفَك إلى قوّةٍ واطمئنان.

ممنوعٌ عليكَ التَّأثيرُ على العواطفِ واللَّعبِ على ضميرِ الجهلِ وغباءِ الإدمان.



انتهى زمنُ العبوديَّةِ، نعم وزمنُ الاستبداديَّة، و المعرفةُ تزدادُ بلا حدودٍ لتخلعَ عنّي وعنك قيودَ كلِّ زعيمٍ حقيرٍ في كلِّ ميدان. ويبقى زعيمُنا واحدًا أوحدَ وحيدًا، ربُّ الايجابيَّةِ و الحبِّ والاحترامِ و السَّلام..

إنّني أعلنُ حربي عليكم، فلا تحاولوا الفرارَ والاختباءَ يا جبناء. نهايتُكم هي حتمًا الاستسلام. فكفاكم وكفانا منكم تدجيلاً وتمثيلاً، إخلعوهُ إخلعوهُ وجهَ الظلام. بالحقِّ والنّورِ وحدَهُما يحيا الإنسان، فتتحرَّر يا شعبُ منهم ومن خداعاتهم.. تَثقَّف فتتحرَّر لمدى الأزمان. وقتُكَ سلاحُكَ لتزدادَ أخلاقًا. إنّني آمنتُ بذاتي وبمن مثليَ إنسانًا. فالآن أصبحَ يحقُّ لي أن أحلمَ وأبنيَ لغدٍ آمالاً وأمانًا.

عُشْتُم وعاشَ الحقُّ والحرِّيةُ والثَّقافةُ في لبنان.

يوم التخرّج

الطالبة نيفين فرحات
Marketing and Advertising Spring 2014

يوم التخرّج هو دائمًا يوم كامل الأضداد: هتافات فرح وجديّة، ذكريات قديمة وأحلام جديدة، طفولة ويفاعة وشباب، ووداع مرحلة لاستقبال مرحلة أخرى.
الكاميرات تلتقط الصور، والآباء يتنفّسون الصعداء، لأنّ سفن أولادهم ستبحر في رحلة جديدة نحو شاطئ النجاح الموعود.

الخطباء يقولون للطلاّب: إنّ اليوم هو اليوم الأوّل، ليس فقط على صعيد حياتهم المهنيّة، بل على صعيد حياتهم «الحقيقيّة» الأرحب؛ وسينالون التهنئة بوصولهم إلى هذا اليوم، مشفوعةً بأطيب التمنّيات في حياة مثمرة، مبنيّةٍ على استعداد للعمل بصدق وجدّ وانفتاح، وبروح المنافسة والمثابرة والتحدّي والصبر...

وسنمضي حاملين من جامعتنا ذكريات جميلة في القلب والوجدان، نتداولها مع الأجيال الآتية، وفي عيوننا ضحكة فرح وحنين إلى تلك الأيّام الخوالي، التي إن كان لها أن تعود فمع أولادنا الذين يُحيون فينا روح الشباب.

إنّها أيّام تمضي، نعم، ولكنّها تبقى طويلاً في ذاكراتنا! إنّها أحلى المراحل المضاءة بنبراس المعرفة، نَدين به إلى صرح نغادره رسلاً يرفعون اسمه عاليًا أينما حلّوا!

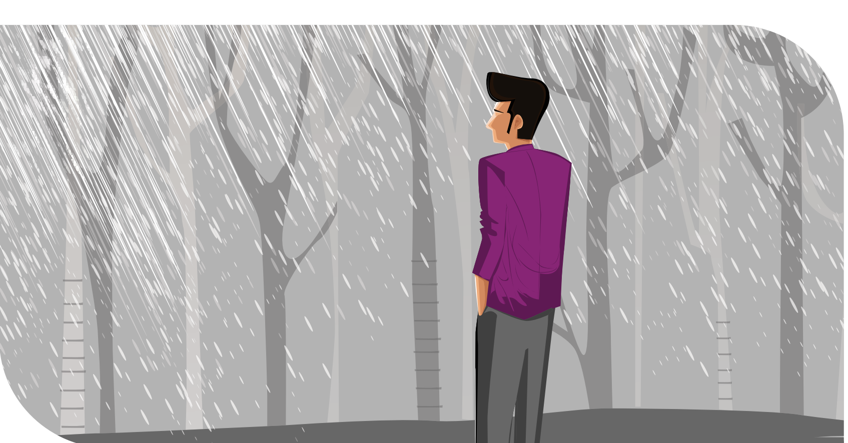


كان حليمٌ استثنائيًا!

إيلي مارون خليل

حليم إنسان وحيد. والوحيد وحيد! لا أصدقاء. لا رفقاء. لا أعداء. وبخاصّة لا صديقات. لا رفيقات. لا عدوّات. وبالأخَصّ لا حبيبات. لا عشيقات.

في لحظة ما، فجائيّة، وكمَن يخرج من حلم فجائيّ، استقال حليم من اجتماعيّاته، من حياته الاجتماعيّة. من كلّ صداقة، أو رفقة. أو جمعيّة. لم يُبقِ إلاّ على عمله، إنّما مع قطع علاقاته كلّها، مع موظّفي الشّركة جميعًا.



تتساءل هند، زوجُه وأُمُّ أولادِه! كيف يكونُ هذا!؟ لِمَ؟ ما به حليم!؟ تعجبُ منه، في ذاتها، من دون أن تسألَه. ولِمَ أسألُه!؟ لن يُجيب! حليم عنيد. حتّى صديقُه ميلاد، رفيقُه من زمن الطّفولة، وزميلُه في المدرسة والجامعة والعمل، وإشبينُه في عرسِه، وعرّابُ أولادِه، لم يستطعْ أن ينتزعَ منه معلومة! كَتوم، حليم! كَتومٌ وغامضٌ. كَتومٌ وغامضٌ وعنيد. حين يُقرّرُ على شيء، يثبتُ عليه. يعودُ لا يتزحزحُ. أبَدًا.

تقول هند، مُخاطبةً نفسَها:

- «العمى بقلبي!» الحُبّ يُذِلُّ. كيف استطاع أن يَقْنِصَني من بيت أهلي!؟ كنتُ المُدَلَّلَةَ في البيت. كنتُ دلّوعةَ أبيها وأمِّها وأخوَيها. صغيرةُ البيتِ. لا يَنقصُني شيء. لا أحتاج إلى شيء. مع أنّ طموحي لا محدود. كيف أحُدُّه وأنا المؤمنةُ بأنّ القناعةَ مقبرةُ الطّموح، وليست، أبَدًا، كنزًا لا يَفنى! على ما يردِّدُ كثيرون. على ما تؤمنُ كثيرات. لم يَقدِرْ أحدٌ على تَدجيني، ولن! لستُ دجاجةً. إنّي كائنٌ تامٌّ، كاملٌ. عليه واجبات. لكن تحقُّ له حقوق. يبكي، هذا الكائنُ، الّذي هو أنا، مرّات، بُكاءً صادقًا جِدًّا، بل بُكاءٌ حميمٌ نازفٌ، لا من العينَين، إنّما من الرّوح، من القلبِ، من الشّرايين، من الأحلام. أبكي الأحلامَ. لكنّي أرى أنّ حليمًا يحسبُ أنّ هذا البُكاءَ اصطناعيٌّ. اِصطناعيٌّ إلى درجةٍ أنّه لا يَتطلَّبُ اهتمامَه لأجل شِفائي. غريبٌ أمرُه، حليمٌ هذا. كم أصبحَ صَخْرِيَّ القلب، برونزيَّ الإحساس! كيف انقلب من الرِّقّة والعذوبة والشُّفوفيّةِ، إلى الخُشونة والعُفونة والكثافة التَّراكُميّة! اِنقلب من إنسانٍ حيٍّ، نابضٍ، اجتماعيٍّ، مُحِبٍّ للحياة، مُقْبِلٍ عليها، إلى تمثال ميْتٍ، جامدٍ، مُتَقَوقِعٍ، لا مبالٍ بالحياةِ، ولا بي، هاربٍ منها ومنّي! ومن النّاس! وباتَ غريبًا عنّا، نحن أفرادَ عائلتِه. كأنْ خارجَ مَدارِ اهتماماتِه. وما هي اهتماماتُه الباقيةُ غيرُ عملِه!؟

حتّى في أثناء السّهرة، لم يعد يهتمّ للأخبار، ولالأيّ برنامج تلفزيونيّ. يتسلحفُ، أمام «اللابتوب»، لا أدري بما ينشغل. إلى قربي وبعيد. معنا وبعيد. ومن حبّات قلبِه بعيد، وإن حاورهم، أحيانًا وقليلاً، فعن دراساتهم، وحياتهم واهتمامهم بأنفسِهم، وبي! أنا؟ ألاحظُ وأصمتُ. أصمتُ وأُلاحِظُ. ولا يتبدّل شيء. ولم أفكِّر، مرّةً، ولو إحدى، في لماذا يوصيهم بي!

سمعتْني وحيدتي، ليلةً، أبكي. أشْعلَ خوفَها الأمرُ. أغاظَها.

- حبيبتي ماما! ما بكِ؟

أدرتُ وجهي لئلاّ أجْهشَ، أجبتُ:

- لا شيءَ، يا قلبي! لا شيء!



قصّة

مَسَحْتُ عينَيَّ والخَدَّين بمحرمةٍ ورقيّة ناعمةٍ، مُعَقَّمة. اِستدرْتُ لأراها على شَفير البُكاء. كرّرتُ مؤكِّدةً:

– لا تبكي، يا قلبي! ما بي شيء! صدّقيني!

غلّت فيّ، حانيةً، مُنفعِلةً، غيرَ مصدِّقةٍ. حدّقتْ في عينَيّ:

– ليتني أستطيع أن أُصدِّقَ!



ضَمَمْتُها إلى صدري بحنان الأمومةِ كلِّه، وعذوبتِها والرّقّة. غلّت فيّ أكثر. أعادت سؤالَها:

– ما بكِ، يا أُمّي!؟

أهملْتُ الإجابةَ. غيّرتُ الحديثَ. قلتُ:

– هل أعجبتْكِ القصّةَ الّتي طالعْتِها مؤخَّرًا؟
– أمّي! لا تُلهيني بأسئلة ليست في وقتِها!
– ماذا تُريدين يا حبيبةَ أُمِّك؟
– أن أعرفَ لماذا أنتِ حزينة! أن أعرفَ لماذا أنتِ تبكين؟
– من المُبكِر أن تعرفي!
– لا عمرَ للمعرفة! لا تُحجَبُ المعرفةُ عن الأولاد! هي زادُهم، مرشِدتُهم، دليلُهم... يستفيدون من تجربةِ الآخَرين.

ولمّا سكتُّ ولم أُجِبْ، سألتْني بصوتٍ هامِسٍ، مُرتعِشٍ:

– ألَيسَ كذلك، يا أمّي؟

هزَزْتُ برأسي، والدّمعُ يتلألأُ في عينيّ، يستعدُّ للانهِمار، قلتُ:
– هو كذلك، بلى. هو كذلك!
– وإذًا؟

– سأشرحُ لكِ. ركّزي معي. ركّزي جيّدًا. كان والدُكِ، حليم، أفضلَ شبابِ الكُلّيّةِ: أخلاقًا وثقافةً. وكان جميلَ الشّكلِ، دائمَ الأناقةِ، مُشرِقَ الابتسامةِ. وكان اجتماعيًّا، يحبّ النّاسَ ويُخالطُهم، ويحبُّ الحياةَ ويُقبِلُ عليها، ليلَ نهار. وكان لاعبَ كرةِ سلّةٍ مميَّزًا. لم يكن ليهدأ. دائمُ النّشاط والحيويّة!
– لهذا أحببتِه!
– صحيح، لهذا أُغرِمْتُ به.
– ولماذا هذا التَّبدُّلُ؟ وحيد. لا يخرج من البيت. كأنّه بات لا يحبُّ الحياةَ، بل يكرهُها!
– هذا ما يُحَيِّرُني، يا ابنتي!
– ألا يمكنُ أن تسأليه؟
– المُشكِلةُ أنّه لا يُجيب. لا يقول شيئًا.

وإن ألَحَّيْتُ، دفعَني عنه، أو دَفَعَ نفسَه عنّي. وصَمَتَ.

– أمَريضٌ هو؟
– لا، ما به شيء!
– ماذا إذًا؟
– اكتآب لا سببَ له، بالنّسبة إليّ، ما أدّى به إلى التّوحُّدِ.
– اِكتآب؟ على أثرِ ماذا؟
– لاأعرف! لكنّ الاكتآبَ لا يكون إلاّ بعد صدمةٍ قاسيةٍ، خَيبةٍ مَريرةٍ، فَجيعةٍ كارثيّة...
– أيّها خَبِرَ أبي، أو عرف، أو عاش؟
– بالمبدإِ ولا أيًّا من هذه!
– وبعدُ؟
سَخرْتُ:
– كما وقبْلُ!
– «عن جَدّ»، أمّي!
– لا أعرف! فِعلاً إنّي لا أعرفُ!
– أيُعقَلُ أن يكونَ يُحِبُّ سواكِ!؟
– لا أظنّ! إلاّ أنّ كلَّ أمرٍ وارِدٌ! لكنّي أعرفُ تَمَسُّكه بالقِيَم! لا يساومُ على كرامةِ عائلتِه!
– أهو مَدينٌ لأحد؟ لمصرِف؟ لمُرابٍ؟
– كما النّاسُ جمعًا؛ للمصرف!
– لماذا الاستدانة؟
– قَرْضُ السّيّارةِ. قَرْضُ المنزل. قَرضُ التّحسينات الّتي أدخلتُها على المنزل. قَرْضُ السّفَر.
– أكانت ضروريّةً، هذه التّحسيناتُ؟ هذه السّفْرةُ؟ ألم يكنْ يُمكنُ تأجيلُها؟
– تُصبحُ أغلى!
– يكونُ أنهى قرضَ السّيّارة! أو المصرِف! كان أفضل!

لفتت نظري إلى أمرٍ لم أكنْ متنبّهةً له! أو أنّي لا أريدُه. وأُكابِرُ.

كيف لا أُفكِّرُ في الأمر! ولا أُبالي! كم تبدو ملاحظةُ ابنتي صحيحةً!



أصلحتُ من شأن نفسي. نظرتُ إلى وجهي في المرآة. مسحتُ الدّموعَ المستعِدّةَ للانهِمار، وتوجّهتُ إليه.

كان وحيدًا إلاّ من أحلامِه. الكتابُ الّذي اشتراه، يومَ أمس، بين يدَيه. بدا مُتَّخَذًا به. فاجَأْتُه:

– أرِحْ عينَيكَ قليلاً، يا حليم! كيفما درتُ، في هذا البيت، أَرَكَ، إمّا كاتبًا، إمّا قارئًا! إمّا أمامَ جهازِ التَّلْفَزةِ! ألا تُريحُ عينَيكَ، ولو قليلاً!؟
– راحتي في عالمي! وهذا هو! القراءةُ، الكتابةُ، الموسيقى، مشاهدةُ مبارياتِ كرة السّلّة، محلّيّةً وأميركيّةً وأوروبّيّة!
– سآتيكَ بالنّسكافّيه. نرتشفُ معًا.
– هذا عملٌ طيّب. مع البسكويت.
– لعينَيكَ، يا حليم.

وأنا أُحَضّرُ ما اقترحتَه، رحتُ أفكِّرُ في كيفيّةِ بَدْء الحوار حول ما يُزعِجُه. أدَرْتُ الأمرَ في رأسي مرّاتٍ ومرّات. لم أجدْ طريقةً مناسِبة. ويبدو أنّي تأخّرْتُ. سأل:

– أين أنتِ؟ تُحَضّرينها في البرازيل!؟
– «يَلاّ» أنهيتُها. وسّع للصّينيّة أمامك على الطّاولة!
– وسّعْنا!

وإذ اقتربتُ، وبين يديّ الصَّينيّة، وعليها النّسكافّيه بالحليب، وعلبةُ البسكويت، سُرِرْتُ بيني وبيني. امتلأتُ اعتِزازًا. ابتسمتُ. قلتُ:

– كم أنّكِ لا تزالين أنيقةً!
– لأحلوَ في عينيك!
– أنتِ الحلوةُ الدّائمة!
– أوَتظنّ؟
– بل أجزم!

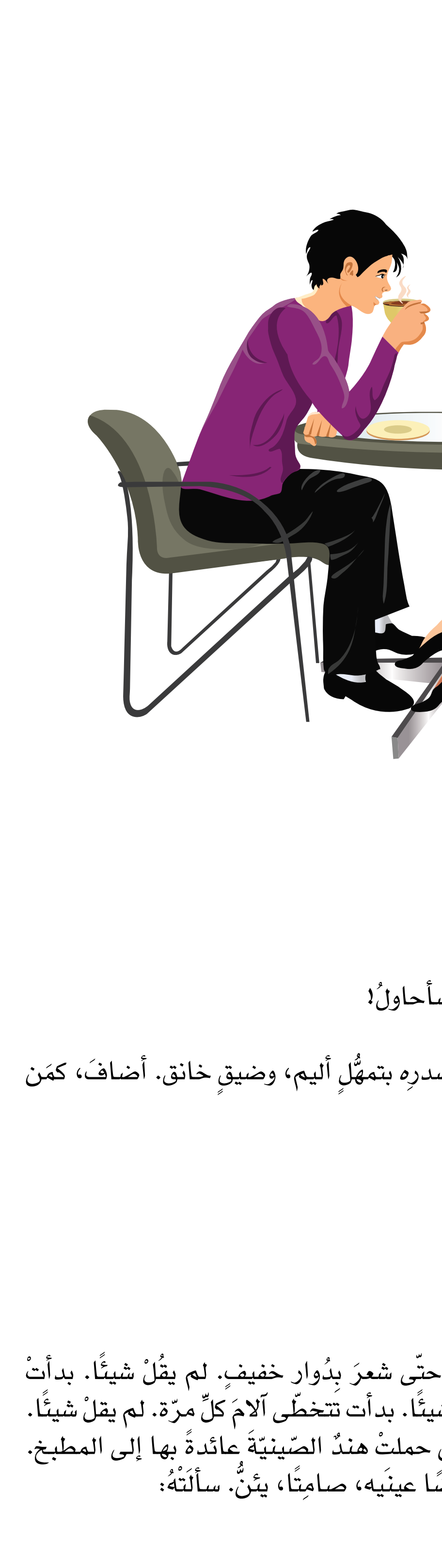
– إلى هذا الحدّ!؟
أشرقَ وجهُه بابتسامته العذبة الّتي أعرفُ؛ لكنّي رأيت فيها حزنًا، كآبةً، سَوداويّةً، اصفِرارًا، سُخْرًا.

وضعْتُ الصّينيّةَ على الطّاولة. جلستُ إلى جانبِه.

نظر إليّ بحنانٍ شَفيفٍ. غابت عيناه وراء أحلامٍ لامرئيّةٍ، ورؤًى قصيّةٍ. قال:

– ما أشهى هذه الرّائحة! تُعِدّين النّسكافّيه بقلبك!
– لأنّي أحبُّكَ!
– وأنا، ألا أحبُّكِ!؟
– بتُّ غيرَ أكيدةٍ! فإنّكَ دائمُ الوحدةِ. دائمُ الصّمتِ. دائمُ الحزنِ. مُسْتَغْرِقٌ في ذاتِك...
– أُفّ! عُدنا!..
– لم نذهبْ لنعودَ! أمرُكَ يُحَيِّرُني! في عملِكَ تكونُ غيرَ إنسان. فأنتَ فَرِحٌ. طريفٌ. مُتَحدّثٌ. غيرُ متوحِّد. دائمُ الابتسام. على مسافةٍ واحدةٍ من الجميع. أمّا في البيت، فأمرٌ آخر!.. لا أفهمُ السّببَ، يا حليم! أمرُك يَشغلُ فكري، يعذّبُ قلبي. يُقلِقُني. ألا تُشارِكُني همومَك!؟ لماذا تخلّيتَ عن ذاتك الّتي عرفتُكَ بها وعليها، وأحببتُكَ لأجلها، بل همتُ بك؟

مراجعات



- تقصدين أنّكِ تحوّلْتِ عن حُبّي؟
- لا! أبدًا!
- ولمَ هذه الملاحظات؟
- لتعودَ الإنسانَ الّذي كنتَ!
- أحِبُّ ذلك!
- لِمَ لا تحاولُ!؟
- سأُحاولُ، بعد اليوم. سأحاول. نعم، سأحاولُ!

وهزّ برأسِه مرّاتٍ متتالية، نافِثًا هواءَ صدرِه بتمهُّلٍ أليم، وضيقٍ خانق. أضافَ، كمَن يُفَكِّرُ، بعد صَمْتٍ حزينٍ:

- فلْنرتشِفْ. «كاسِك!»
- «كاسَك!»

ورفعنا كأسَينا كمَن يشربُ الكحول.

ما إن أنهى حليمٌ ارتشافَ النِّسْكافّيه، حتّى شعرَ بِدُوار خفيفٍ. لم يقُلْ شيئًا. بدأتْ آلامُ رأسِه، أخذتْ تقوى، ككلِّ مرّةٍ. لم يقلْ شيئًا. بدأت تتخطّى آلامَ كلِّ مرّة. لم يقلْ شيئًا. تغيّر لونُ وجهِه. لم يَقُلْ شيئًا. أنّ قليلاً حين حملتْ هندُ الصّينيّةَ عائدةً بها إلى المطبخ. لمَ يقُلْ شيئًا. وحين عادتْ، كان حليمٌ مُغْمِضًا عينَيه، صامِتًا، يئِنُّ. سألَتْهُ:

- حليم! ما بكَ؟

لم يَردّ. كرّرتْ، وقد اقتربتْ:

- ما بكَ، يا حليم؟

فتحَ عينَيهِ قليلا. ثمّ أطبقهما. أجابَ:

- لا شيء! دُوارٌ بسيط. قليلاً ويزول. دعيني لوحدتي. أرغبُ في الوحدة، أجدُ فيها راحتي.

في اليوم التّالي، دخل حليمٌ في غيبوبةٍ استدعتْ نقلَه، سريعًا، إلى المستشفى. لم ينجحِ العلاج.

كان حليمٌ يُعاني السّرطانَ. من سنواتٍ بدأ ينخرُه هذا المرضُ. لم يُخبرْ أحدًا. يتوجّهُ إلى الطّبيب وحدَه، من دونِ أن يعرفَ أحدٌ. يشتري الدّواءَ وحدَه، من دون أن يعرفَ أحد. يتألّم وحده، من دون أن يعرفَ أحدٌ. يُمضي يومَ علاجه في المستشفى وحده، من دون أن يعرفَ أحدٌ. وحين أمضى أسبوعَ علاج، ادّعى أنّه مسافرٌ بعمل. من دون أن يعرفَ أحدٌ. ما أرادَ يُشارِكُه أحدٌ معاناتَه. لا يُريدُ يُشفِقُ عليه أحد.

لكن،

حين انتقلَ إلى الماوراء، عرفَ كثيرون. مشَوا وراءه خاشعين، قادِرين، مُعجَبين... ووجدَتْ زوجُه ورقةً مُمَيَّزةً، وبعِنايةٍ لافتةٍ، مَطْوِيَّةً بين أوراقِه اشتبهتْ في أمرِها. فضّتْها بعصبيّةٍ، فإذا بها تقرأ:

«لا موتَ في الدّنيا. إنّه تَخَلٍّ عن المادّة فينا، لنَلِجَ نورَ الأبد! لا يبكيَنّ أحد. بلغتُ الخلاص!»

وبعد أيّام، وجدتْ مذكّراتِه، يومًا بيوم، مكتوبةً باهتمام، وقد عَنْوَنها هكذا:

تُخلَق وحيدًا، تحيا وحيدًا، تموت وحيدًا... وحدة بوحدة! «أبو هالعمر!»

فقالتْ: كم كان حليمٌ إنسانًا استثنائيًّا! واعتذرَتْ إلى روحِه...



في فضاء الندوة حول كتاب الأب حنّا طيّار

القيم والمعتقدات والممارسات الدينيّة لدى الشبيبة المسيحيّة في لبنان



«القيم والمعتقدات والممارسات الدينيّة لدى الشبيبة المسيحيّة في لبنان» كتابٌ للأب المريميّ المدبّر حنّا طيّار، صدرَ في منشورات الجامعة بالفرنسيّة تحت عنوان: Valeurs, Croyances et Pratiques Religieuses auprès de la Jeunesse Chrétienne au Liban.



وقد كان موضوع ندوة، بتاريخ ١٣ أيّار ٢٠١٤، شارك فيها: الأباتي بطرس طربيه- أ. سهيل مطر- د. باسكال لحّود- الباحث. عبدو قاعي- د. ميرنا مزوّق؛ وقدّمتها د. ندى سعد صابر.

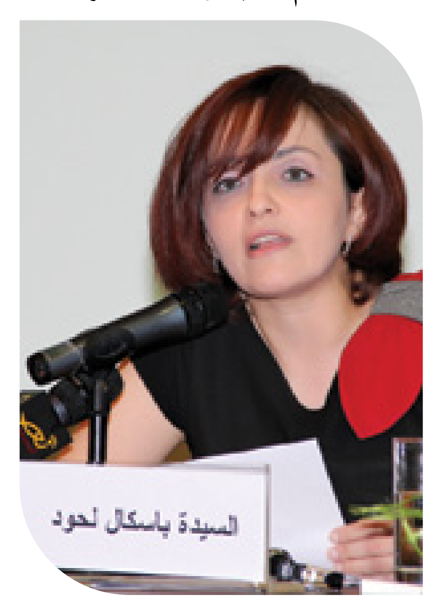
*من كلمة الأباتي **بطرس طربيه**، نتوقّف عند أربع نقاط، أدرجها تحت قول بولس الرسول «أمّا أنتَ، فكن متيقّظًا في كلّ شيء»، جاء فيها:*

١. إنّ صعوبةَ البحثِ جاءَت متأثّرةً بالوَضعِ الراهن في مجتَمَعِنا الْمُتَمَيِّز بتَعَدُّدِيَّةِ الأَديانِ والطوائف من ناحية، وبتأثيراتٍ عائليّةٍ واجتماعِيَّةٍ ودينيّة عَلى الشبيبة من ناحية أخرى، تَقودهم إلى خِياراتٍ تَضَعُ الحرّيّةَ الشخصيّةَ تحت ضُغوطٍ مُخْتَلِفَة.

٢. أَظْهَرَتِ الدراسةُ أيضًا جِدِّيَّةَ الشبيبةِ وسعيَها إلى الحقيقة، وَسَلاسَةَ اندفاعِها الأوّل؛ ولكنَّ ضَعْفَ التربيةِ على الصعيدَين الدينيِّ والْخُلُقِيّ يَعودُ إلى قِلَّةِ جهوزيّةِ العائلةِ والمدرسة لِلقيام بهذه الْمَهَمَّة، الأمرُ الّذي يُضعِفُ الترابطَ الداخليّ والانسجام الاجتماعيّ عند الفرد.

٣. أمّا الانفتاحُ على العالَمِ من خلالِ وسائِلِ التكنولوجيا والتواصل، واستقبالُ عَدَدٍ لا يُحصى من المعلوماتِ والدعواتِ الفارغَة مِنَ «اللاقِيَم»، فتُسهِمُ في ضَياعِ شبيبتِنا، مع النقصِ في النَقْدِ الواعِي البَنّاء.

٤. خبرةُ بعضِ الشبّان والشابّات لعَيش أسرارِ الكَنيسة بعُمق، وَاستِقْبالِ القِيَمِ الحقيقيّةِ الّتي تُوَجِّهُهُم إليها تعاليمُ الكنيسة، تُعطيهِم فَرَحًا وسلامًا. لكنَّ الكثيرين مِمَّن لا تَصِلُهم هذه التربيةُ الْمُمَيَّزَةُ، على الصعيدَين الروحيِّ والْخُلُقِيّ، تَخْنُقُهُم الأحكامُ الْمُسبَقَة والأفكارُ المغلوطة...



*وبعد عرضٍ لفصولِ الكتاب، تولّاه **الأستاذ سهيل مطر**، عمدت د. **باسكال لحّود** إلى حصر مداخلتها بالفصل الثالث من الكتاب، وهو المتمحور حول القيم، فساقت عددًا من الاستنتاجات التي تسمح بها دراسة الأب طيّار، كما قالت، وفيها:*

١. يبيّن الفصل الذي نحن بصدده تفوّق الفتيات في تقديرهنّ للقيم (وسنستعمل الكلمة بين مزدوجين معتمدين المعنى الموسّع الذي اعتمده الكاتب). في ما يتعلّق بالصداقة مثلاً، يبدو ٩٠،٥ ٪ من الفتيات مقتنعات بأهمّيتها مقابل ٨٥،٥ للشبّان (ص ٣٥٩)، أمّا العائلة فنالت تقدير ٩٠،٣ ٪ من الفتيات مقابل ٨٣ ٪ من الشبّان (ص ٣٦٩). وينال الإخلاص تزكية ٩٠ ٪ من الفتيات، فيما لا تتجاوز نسبة الفتيان الذين أولوه أهميّة عليا ٧٧،٥ ٪، أضف إلى هذه النسبة ٦ ٪ منهم يعتبرون الاخلاص غير مهمٍّ بتاتًا. والملفت في هذا السياق أنّ العدالة نفسها، وهي في النموذج الغيليغاني قيمة ذكوريّة بامتياز، هي أيضًا مؤنّثة عندنا إذ حازت على تقدير ٨٤ ٪ من الفتيات مقابل ٧٦ ٪ للشبّان.

كيف بالإمكان قراءة نتائج كهذه؟

يبدو تثمين القيم سمة من خطاب الأنوثة عندنا؛ ومسألة تفاوت إدراك القيم بين الجنسين مسألة أسالت الكثير من الحبر ولا يزال حاضرًا في الأذهان الصراع بين نموذج كانط- كولبرج ونموذج غيليغان. عند هذه الأخيرة، الأخلاق الذكوريَّة متمحورة حول قيم العدالة، وتعبّر عن الواجب الأخلاقيّ تعبيرًا مجرّدًا ويونيفرساليًّا يقدّم العامّ على الخاصّ، فيما التفكير الأخلاقيّ الأنثويّ أكثر إدراكًا لما هو محسوس ولقيم العناية (care) وليس العدالة. ولكن لا تشكّل دراسة الأب طيّار دحضًا لهذه النظرية، ذلك لأنّها لا تتناول معالجة الجنسين لمعضلات أخلاقيّة (ethical dilemmas)، بل فقط تثمينهم النظريّ (أي على مستوى القول) للأخلاق.

٢. الملاحظة الثانية تتعلّق بالمعيار الاقتصاديّ الاجتماعيّ. وهنا خطّ الفصل يكاد يكون ثابتًا أيضًا، فتميل كفّة القيم بشكل شبه دائم إلى الفقراء، أو الأقلّ دخلاً، أو أبناء العائلات التي لا يتمتّع الوالد فيها بمستوى علميّ متقدّم. ولن أتوقّف عند الأرقام، فهي مفصّلة في الكتاب، بل أنتقل مباشرة إلى ما أرادنا الأب المدبّر أن نصل إليه، أي إلى مدلولات نتائج دراسته الميدانيّة، وأتساءل: هل لتربيتنا الفضل في كون الفقراء يريدون العدالة؟ طبعًا لا، لكنّا هنّأنا أنفسنا لو كان المقتدرون بين طلاّبنا منهمّين بالعدالة ومطالبين بها كما الفقراء بل أكثر منهم، ولكن...

٣. الملاحظة الثالثة: طغيان الطابع العاطفيّ والمصلحيّ على الطابع الأخلاقيّ في فهم الشبيبة للقيم، والحال فإنّ المؤلّف يعود إلى هذه النقطة في خاتمته حيث يتحدّث عن فصام سلوكيّ يجعلهم يدافعون بصلابة وجزم عن قيمة معيّنة عندما يكون ذلك لمصلحتهم (١): «Il n'est pas exclu de supposer que les jeunes libanais vivent une certaine «dichotomie comportementale»: ils sont indulgents à l'égard des infractions aux règles et à la morale quand ils y trouvent avantage, mais peuvent manifester à l'inverse un certain rigorisme et attachement aux valeurs quand la transgression des règles n'est pas à leur profit» (498).

أظنّ أنّ هذه الخلاصة بغاية الخطورة إذ تبيّن أن لا تمييز عندنا بين مستوى القيم ومستوى المصالح، القيمة في خطابنا هي مجرّد كلمة تسويغيّة أو عباءة للمصلحة، فيما تبيّن دراسات غرين أنّ الأولاد يصبحون قادرين على التمييز بين ما هو أخلاق وما هو قواعد سلوكيّة قابلة للانتهاك من دون مساس بالقيم، منذ السادسة من العمر. لنا، كنيسةً ومدراسَ، أن نستنتج ما ينبغي استنتاجه حول تربيتنا.



*ورأى الباحث **د. عبدو قاعي** أنّ الأب* حنّا طيّار شاءَ في بحثه أن يعرفَ ما إذا كانت التربيةُ، وبخاصّةٍ تلك التي يتلقّاها الشبابُ اللبنانيّ المسيحيّ، لم تزل هذا العمودَ الفقريّ لمنشأ الحضارة الإنسانيّة

ولتحسين أدائها، عبر تهذيبِ النزعات الدفاعيّة البدئيّة الكامنة في الطبيعة البشريّة الأولى، وهي النزعات التي تدفع بالفرد إلى التقوقع في أنانيّته، والتي تؤول بالجماعات إلى التصلّب في معتقداتها.

وفي نتيجة هذا البحث، لم يُخفِ الأب طيّار عنّا قَلَقَه في أن تكونَ القيمُ الإنسانيّة التي تُبنى عليها الحضارةُ، حضارةُ الإنسان المدنيّ والروحيّ، عرضةً للقراءاتِ المتضاربة لمعانيها، من خلالِ المقارباتِ التي بُنيت عليها في المؤسّسات الروحيّة والمدنيّة، والاستعمالات الأدواتيّة التي لجأ إليها الشباب اللبنانيّ، والمسيحيّ بشكلٍ خاصّ، في عيشهم لحياتهم الخاصّة والعامّة، في ما يعود إلى كلٍّ من انتماءاتهم العائليّة والمذهبيّة والوطنيّة.

وفي ما يتخطّى هذه النتيجة، دافع الطّيار عن التربية كمجالٍ رحب لبناءِ الذّاتِ الغيريَّةِ في الانسان، وأكَّدَ على أهميَّة الحضارةِ كامتدادٍ للتربية على الانفتاح الثقافيّ والخُلُقيّ، الذي يجعل من الانسان كائنا مجتمعيًّا وروحيًّا، يعمل بشكلٍ دائمٍ على إيقاظِ شيَمِه الكامنة فيه وتفعيلِها.

فَنراه على هذا الأساس، في بحثِه، يَسعى إلى تَقصّي حركةِ القيم والمعتقدات والعادات والممارسات القيميَّة لدى الشباب اللبنانيّ، والمسيحيّ منه بشكل خاصّ، ليكتشفَ من خلالها هامشَ التحرُّر الإنسانيّ والروحيّ، الذي دفعتهم إليه التربيةُ التي حصلوا عليها، والذي يمكن، من خلاله، مقاومةُ الأواليّاتِ الدفاعيّةِ التي تبنيها فيهم انتماءاتُهم الاجتماعيّةُ-الثقافيّة، والدينيّةُ-المذهبيّةُ في هذا الزمن المبنيّ على التفرقة والتمييز بين الناس، على أساس طوائفهم ومذاهبهم.

وتابع قاعي: يُمكننا الإشارة، في نهاية القول، إلى أنّ هذا الكاهن الباحث في عمق التعبير المرتبط بالمعتقد والسلوك، قد تمكَّن من أن يفتح أمام الباحثين في المجالات الإنسانيَّة المختلفة، حقلاً واسعًا من التساؤلات الابستمولوجيّة التي من شأنها أن تساعدهم على تعميق إيحائهم لتطالَ مواطن التغيير في الإنسان، من أجل مساعدته على الارتقاء إلى مصافّ الإنسانيّة التي تناديه.

وعلى أساس هذه المناداة الكامنة في عمق الإنسان، كلِّ إنسان، والتي لا تبرح تدعوه للارتقاء إلى ذاتِه السامية، سلّط الأب حنّا طيّار الضوءَ على الصليب، وفي صفحة الغلاف بالذات من كتابه، كرمزٍ للنضال، من أجل التحرّر من عداوة الذات للذات، عبر الاعتراف بالآخرين في ذاتِهم العدائيّة لذاتهم وللآخرين، وصولاً إلى المعرفة كآليّة للإصغاء إلى مكامن العَداء، التي، من خلال تفهُّمِها ومعالجتها، تتجلّى الذات للذات، وتتكشّف المعاني الكامنة في كلّ ذات، كأتّون محبَّة بين الذات والذات.



*د. **ميرنا عبّود مزوّق**، أضاءت على ما يمكن أن يثيره كتاب الأب طيّار من تفكير إصلاحيّ مبنيّ على معطيات ووقائع وانتظارات. وممّا جاء في مداخلتها بالفرنسيّة:*

Le présent ouvrage permettra aux instances sociétales et surtout ecclésiales de réfléchir une réforme humaine de l'éducation et de l'accompagnement des jeunes adolescents sur une base éclairée de la réalité.

L'auteur nous permet de nous situer dans une perspective de recherche, donc d'écoute et de présence réflexive et active. Il nous invite à sortir de la routine institutionnelle des programmes et des protocoles établis, pour oser l'aventure de l'Autre, cet autre, parfois imprévisible mais parsemé d'énergie et de volonté d'Etre.

Avec le Père Tayar, les jeunes adolescents ne sont plus une catégorie d'âge à traiter scientifiquement, mais des personnes à écouter et à accompagner. Comme tout chercheur qui respecte l'éthique requise pour un travail scientifique, et malgré sa position de responsable dans son Ordre et dans l'Eglise, il n'hésite pas à avancer des résultats pouvant paraitre choquants. Il ne vise pas la déstabilisation ou la désinstitutionalisation, mais appelle au renouveau connaissant constructeur d''une nouvelle stabilité éducative au service d'une vraie pastorale des adolescents.

Je tiens à remercier l'auteur pour cette recherche riche en consistance scientifique sans prétention aucune. C'est ainsi que l'ouvrage du Père Tayar s'adresse à toute catégorie de personnes en relation directe ou indirecte avec les adolescents: les adolescents eux-mêmes, les parents, les enseignants, les responsables de l'éducation et de l'encadrement scolaires, surtout catéchétique, les responsables dans les paroisses et les mouvements de jeunes, les instances référentielles en termes de vision et de stratégies d'action auprès des adolescents en termes religieux (foi et pratique), social et psychosocial.

وانتهت إلى القول:

Formation, participation, implication, appartenance sont les bases stratégiques de toute action future auprès des jeunes et avec eux.

*وأخيرًا، شاء **الأب المدبّر حنّا طيّار** أن يشاركَنا بعضَ أفكاره، فقال:*



١. بالرّغمِ من المنظرِ العامّ الأوّليّ الذي ينبئُ بتراجُعٍ في الإيمانِ والممارسةِ الدينيّةِ والقيم، بتباينٍ بين القطاع العامّ والخاصّ، وبينَ الذكورِ والإناثِ، وبينَ المناطقِ والطوائفِ وبين المستوى الاجتماعيّ والثقافيّ، نرى الشبيبةَ اللبنانيّةَ ما زالت تؤمُّ الكنائسَ ودورَ العبادة أقلّه في مناسباتٍ مخْتلِفة، وما زالتْ تتهافَتُ أكثرَ من والديها على مناسبات تجمعها لتعبِّرَ فيها عن إيمانِها على طريقتِها. ولكنْ إذا تمحَّصنا أكثرَ، اكتشفنا أنّ ٣٥٪ من هؤلاء الشباب فقط هم ممارسون عن قناعة تامّة وبمواظبة، بغضّ النظر عن أهلهم والمدرسة والأصدقاء. أمّا العدد الأكبر أي ٥٠٪ منهم، فيتّسمون بطابع سمّيناه بـ«النصف ملوّن» (demi teinte) لما يحمل هذا الطابَعُ من ميزاتٍ خاصّةٍ به كالممارسةِ غيرِ المستقرّةِ (tributaire) أو من بابِ التقاليدِ الموروثةِ أو عن خوفٍ أو للقيامِ بالواجب فقط. ومعظَمُ هذه الفئة نراها على هامشٍ من الأسرارِ ولا تنتمي إلى كنيسةٍ بشكلٍ واضح، كما أنّها تستَعيضُ عن الممارسةِ القانونيّةِ بتقويّاتٍ شخصيّةٍ وفرديّة؛ فيُخيَّلُ إلينا أنّنا نعيش في عالمٍ من التناقُضاتِ الناتجةٍ عن تضارُبٍ في التقاليدِ الموروثة والواقعِ المتحضِّر. فللمطاعمِ والمرابع الليليّة دورُها، كما لخميس الأسرار وزيارة الكنائس السبع ونهارِ الجمعةِ العظيمة دورُها. فإذا تبيّن للعالمة البريطانيّة Grace Davy في دراستها لعالم الغرب بأنّ هناك «إيمانًا متزايدًا، ولكن قلّة في الانتماء» : «believing without belonging» لتعبّر عن نموّ الإيمان خارج المؤسّسات (en dehors de l'institution)، فلربّما هذه الحالة بدأت تمسّ مجتمعنا المسيحيّ الشرقيّ، وأصبحنا ننتقي المعتقدات والقيم والممارسة كمن يطلب لائحة الطعام في مقهى ويختار منها ما يلائمه أو يحلوله. أمّا الـ١٥٪ الذين نعتبرُهم بعيدين عن الكنيسة والممارسة، فهم نتيجةُ قلّةِ الاهتمام بإيمانهم الموروثِ والعيش في مجتمع استهلاكيّ أو ردّة فعل لما يرونه مخالفًا لقناعاتهم، رافضين ومنتقدين كلَّ ما له صلةٌ بالإيمان والكنيسة. فكيف التعايشُ معهم وما هي أطُرُ الإصلاح؟

٢. تبقى العائلةُ، وهي متصدّرةٌ سلّم القيم مع الصداقة، المحورَ الأوّلَ والأساسيَّ في نقل القيم والمعتقدات والممارسات الدينيّة. فالأهل يؤثِّرون سلبًا وإيجابًا في أولادهم على جميعِ الأصعدة، الروحيِّة منها والتربويّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة. فإذا كان ثمّة للوالِد دورٌ مباشرٌ وفعّالٌ في نقل هذا الإرث، فكم هو غائب اليومَ عن لعبِ هذا الدورِ لأسباب كثيرة. فالخللُ في صورةِ الأهل ينعكس مباشرة، سلبًا أو إيجابًا، على تكوين إنسانٍ مثقّف مؤمن ملتزم، ومواطنٍ يهتمّ بالخير العامّ واحترام التعدّديّةِ الثقافيّةِ والاجتماعيّة والدينيّة واحترام حقوق الانسان. فإذا تصدّعتِ الأسسُ العائليّةُ، فأيَّ أسس يعتمدُ جيلُ اليوم، خصوصًا أنّ الحربَ اللبنانيّةَ لم توفِّر لنا فرصةَ التعويض عمّا فقدناه في خلالها؟ فدخلنا ليس فقط في فراغٍ سياسيٍّ كما نعيش اليوم، بل في فراغٍ إنسانيّ لم نتحضَّرْ له، فرأينا أنفسَنا أمامَ معضلات نتخبّط فيها من دونِ إمكانيّةِ وضعِ حلولٍ مُرْضية وثابتة. فها نحن نعالجُ الوضعَ بالتدخّل عند وقوع الكارثةِ وبالتفتيشِ عن حلول لحالاتٍ طارئةٍ كما تعوّدنا في هذا البلد. أفَلَمْ يحنِ الوقت لمواجهة الواقعِ ووضعِ أسسٍ ثابتةٍ مغايرة لتلك الأسس المتَوارَثَةِ، إذا لم يكنْ بإمكاننا تطبيقُها أو إعادةُ إحيائها؟

٣. يؤلمني كثيرًا وضعُ شبابنا اليوم: فهم يتخبّطون على عدّة محاورَ ويعيشون نوعًا من الانفصام ما بين التقدّمِ والانفتاحِ الفكريّ من جهةٍ، وتقاليدِ حضارتنا الشرقيّة المحافظةِ خصوصًا بالنسبةِ للعلاقات الحميمة والجنس من جهة أخرى. فاليومَ «بدأنا نعيشُ في مجتمع الإيحاءات الجنسيّة والفجورِ الجنسيّ»، وهي عبارةٌ ردّدها اختصاصيّون نفسيّون واجتماعيّون ومحامون وغيرُهم من الأشخاص المطّلعين عن كثبٍ على هذه القضايا (الغريبة) عن مجتمعاتنا وتقاليدنا وقيَمِنا. يتخبّطون في مجتمع ينادي بالانفتاح، بينما هو ينغلِقُ على ذاته ويهابُ الآخر. يفتقرُ شبيبةُ اليوم إلى مُثُلٍ عليا إنْ في السياسة أو في المجتمع، أو من قبل الأهل والاكليروس. فبمَنْ يتمثّلون ويقتدونَ، وبيد من يُمسكون؟ وما





يؤلمني أكثر هو أنّنا نخسَرُ روحَ الشبابِ، تلكَ القوّةَ الداخليّة التي تدفع بهم لتحدّي الصعابِ والمضيِّ قدمًا، تدفعهم باتجاهِ تحقيق الأحلام الكبيرة. قوّةٌ تتجلّى بنظراتٍ ملؤُها الأملُ والحياة والطاقةُ للتغييرِ والتحدّي للتعبير. ونتساءلُ لماذا تفتقر شبيبتُنا لهذا الأمل في بعضِ الأحيانِ على ما عبّروا عن استسلامِهم ورغبتِهم في الرحيل؟ كيف لا ولم يُقدَّمْ لهم منذ ثلاثينَ عامًا سوى الحربِ والدمارِ والتهجير والبطالة والكذب عليهم والنفاق؟ فكيف نعيدُ لهم الأملَ والحريّة والحبَّ والصداقةَ والمغفرة والعدل والطمأنينةَ والإخلاص والتضامن والسلام والثقةَ بأهلهم ومجتمعهم ووطنِهم وكنيستهم، وهُمُ الذين عبّروا عن توقهم إلى هذه الفضائل والقيم، وتقديرِها وسعيهم إلى عيشِها رغمَ كلِّ شيء.

٤. نتفاجأ أيضا بأنّ الدورَ الذي تلعبه المدارسُ المذهبيّة والمختلطةُ في آنٍ معًا، والذي هو دورٌ إيجابيّ للتربية، وللتربية خصوصًا على الإيمان والأخلاق والمواطنة، لا يخلو من الشوائِب ونقاطِ الضّعف التي تُبعِد الطالبَ عن كنيسته الخاصّة من جهة وعن الرعيّة من جهة أخرى. فهل من مبادراتٍ إيجابيّة علينا وضعُها لتثابرَ المدرسةُ في لعب هذا الدور الإيجابيّ المكمّلِ لدور العائلة والمجتمع. فنعمْ للتعليم الخاصِّ، ولا لتعليمٍ يفقدُ المدرسةَ،





خاصّةً كانت أو رسميّة، رسالتَها الأولى وهي التربيةُ، من أجلِ الربحِ الماديّ ونسيان القيم والأخلاق.

٥. إذا كان للقداس والاعتراف والصلاة والتقويّات تأثيرٌ مباشر ومتنوّع على التلميذِ ودراسته وحالته النفسيّة وعلاقاته الاجتماعيّة وتأقلمه مع أصدقائه، فالمعتقداتُ الماورائيّة والبربسيكولوجيّة تلعبُ دورًا بارزًا أيضًا. فهذا الخليط من الإيمان الأرثوذكسيِّ بمعنى المستقيم، والإيمان الإزائيِّ، يطرحُ علامةَ استفهام أيضًا على صلابة المعتقدات الموروثة والقناعة بها عند الشبيبة. فكيف علينا أن نرسّخَ هذه الأسسَ اليوم؟

وأخيرًا وليس آخرًا، «يبيّنُ لنا التاريخُ كم من الشباب، ردّد البابا بندكتوس السادسَ عشر، من خلال هبةِ الذات السخيّة، قد ساهموا بشكلٍ كبير في نموِّ ملكوتِ الله وازدهارِ هذا العالم، من خلال إعلان الإنجيل. بحماسةٍ كبيرة، حملوا البشرى السارّةَ، بشرى حبّ الله المتجلّي بيسوعَ المسيح، بوسائلَ وإمكانيّاتٍ أقلَّ بكثيرٍ من تلك المتوافّرةِ اليومَ»(١). وأكرّرُ اليومَ مع البابا متوجّهًا لكلٍّ منّا ما كان موجَّهًا للشبيبةِ قائلاً: «أيّها الشبابُ الأعزاء، اسمحوا لقوّةِ حبّ الله أن تقودَكم، اسمحوا لهذا الحبِّ أن يتغلّب على الميل إلى الانطواءِ في عالمِكم الخاصّ، في مشاكلِكم، في عاداتِكم؛ تحلّوا بشجاعةِ «الانطلاقِ» من ذواتكم و«المضيّ» نحو الآخرينَ لكي تهدوهم إلى اللقاء مع الله». «أيّها الشبابُ الأعزّاء، لتبقوا ثابتينَ في إعلانِ الإيمانِ المسيحيِّ أينما أُرسلْتُم، أنتم بحاجةٍ إلى الكنيسة».(٢)

(١) رسالة البابا بندكتوس السادس عشر ليوم الشبيبة العالميّ ٢٨ في ريو دي جانيرو- البرازيل بعنوان: «إذهبوا وتلمذوا كلّ الشعوب».
(٢) كلمة البابا فرنسيس للشبيبة في حريصا.

شعريّات

المجدُ للكلمة...
إلى كلِّ قلمٍ قالَ...

باسمة بطولي

سمعتُ ما في سمائي كالشِّهابِ سَرى
صوتٌ أُضاءُ به؟ أم أَسمعُ الزُّهُرا؟
نبعُ ابتهاجٍ من الأحلامِ منهمرٌ
لا كالينابيعِ تَطفو من ظَلامِ ثَرى
بالسّمعِ يَرسمُ في قلبي لكم صُوَرًا...
والآنَ... أكتبُ قلبي... أقرأُ الصُّوَرا
متى يهدهدُ سَمْعي منه أيُّ صدىً
لا بدَّ من أن أُهجّي نبضَه.. لأرى
وأُسدلُ الهُدْبَ فوق النّبضِ خوفيَ أَنْ
يضيعَ ما منكمُ أغنى ليَ البصرا
يا مَن بنيتُمْ لفنِّ القولِ مَعبَدَهُ
لكي تُعيدوا إلى تقواه مَنْ كَفَرا
أَسعدتمُ القلَم العلّمْتموهُ متى
وكيف من بحرِكم يصطادُها الدُّرَرا
وفنّيَ المكتسي أبصارَكم حُللاً
بحُسنِها لَقَّنَتْهُ مِشيةَ الأُمرا
يا الأنتمُ ثروتي.. مَن لي يخبّئُها؟
حتّى لِما بعدَ أن نُسْتودَعَ الذِّكَرا
لستُ الرّمالَ لأخشى موجَ عاصفةٍ
لخطوِ أقلامِكم أن يمحوَ الأثرا
حبًّا بإزميلِ حبرٍ راحَ ينحُتُني
بكلِّ دفئي وناري أَرتدي الحجرا
فحبرُكم حافرٌ ما عندَه خَشَعتْ
مِمحاةُ أيّامِنا... كُرمى لمن حَفرا...
لكن... دُجى الجهلِ آتٍ كي يشذّبَنا
عصرًا بلا رأسِه يختالُ مُحْتَضَرا
حتّى الهواءُ غدا مُسودَّ رائحةٍ
خَلّتْ ضُحانا كليلٍ يشتهي قمرا
تُرى الظّلامُ أَلا تكفيه أعيُنَنا؟
فراحَ يُشْتَمُّ.. أو باللمسِ راحَ يُرى...!
دخانُ حِقدٍ... فخِلناها أبالِسَةً
علّتْ جُهنّمَ حتّى أَمطرتْ شَررا
صاحوا احذروا واشتروا حربًا بريشتِكم
أيُّ العِدى ما بِضَعفٍ منكمُ اذّخرا!؟
لا... أَيُّ سيفٍ مُجلٍّ في معاركِه
ما كان قَبلاً برأيِ الآمرِ ائتمرا؟
ما حَرّكتْه يدٌ.. مهما به ضَربتْ...
خلفَ السّيوفِ الكلامُ الحرَّكَ العُصُرا
والسّيفُ مهما تعالى غيرُ منتصرٍ
إنْ لم يكنْ لكلامِ الخيرِ منتصِرا
إنْ راح قولٌ بغيرِ الحقِّ متّشحًا
فلن يعودَ بتاجِ الفكرِ معتمِرا
مَنْ غيرُ كِلْمةِ حقٍّ أَبدعتْ قدَرًا
مَنْ غيرُها قادرٌ أن يُركِعَ القدرا
أَلم نَزلْ أمّةً تصبو إلى بطلٍ؟!
هل غيرُها البطلُ المازالَ منتظَرا؟!
سألتُه... قَدَري... أين الدّروبُ؟ وإذ
أنتمْ وصولي... ومنكم أَبدأُ السّفرا...

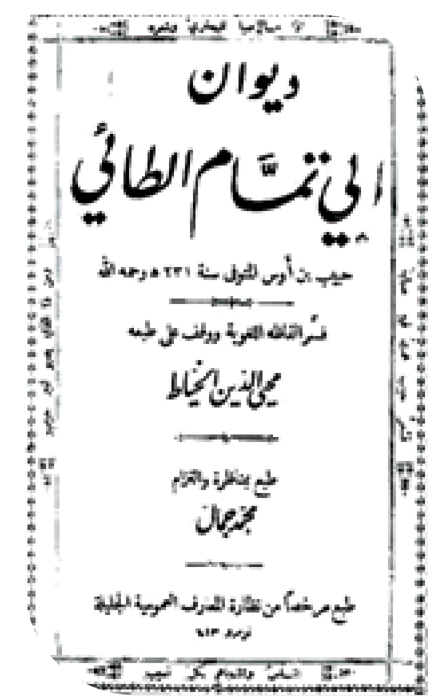


باسمة بطولي

عفوًا أبا تمّام في تفجير تمثال الشّاعر

د. جميل الدويهي
-سيدني-





عَفْوًا أبا تمّامَ، لا تَهزأْ بنا
فلقد قتلنا أمسِ كلَّ العاشقينْ
ولقد قطعنا كلَّ رأسِ مُبْدعٍ
فبلادُنا قبرٌ لدفنِ المُبدِعين
حتَّى الورودُ تيتَّمتْ في مهدِها
والشّعرُ صار ضحيّةً للجاهِلين
لا قيسَ، لا ذبيانَ فيها شاعرٌ
فالوحيُ لم يهبِطْ علينا من سنين.

عفوًا أبا تمّامَ، إنّ عقولَنا
يبستْ، وصرنا في الطّريقِ مشرّدين
يمشي أبو لهَبٍ ونمشي خلفَه
فكأنّنا صرنا جميعًا خائنين
قد خدَّرونا بالوعودِ فأصبحتْ
أفكارُنا حطبًا، وصرنا قاتلين
وعلى دمِ الأطفالِ تصهلُ خيلُنا
ونفجِّرُ الألغامَ تحتَ المُرسَلين.

دخلوا عليك أنتَ شيخٌ عاجزٌ
وجبانةٌ قتلُ الشّيوخِ العاجزين
وتوعَّدوك، وهَدّدوك، وأطلقوا
نارًا عليك، وأنت مرفوعُ الجبين
دكُّوا التّماثيلَ التي كانت لنا
ذكرى تخبِّرُ عن رجالٍ خالدين
وتعقّبونا بالحريقِ لأنَّنا
قلنا نحبُّ، فقد غَدوْنا مُجرمين.

كرِهوا الحياةَ لأنّهم لم يعشقُوا
أو يدخُلوا زمنَ القصائدِ والحنين
ما قبّلوا شفةً كأنّ قلوبَهم
حجرٌ، وفي أرواحِهم خشبٌ وطِين
ما عانقوا امرأةً، ولم يتعلّموا
شعرًا جميلاً مثلَ عطرِ الياسمين
متزمِّتون وجاهلُون لربِّهم
فمتى دعا للقتلِ ربُّ العالَمين؟

الحرفُ أصدقُ من سُيوفٍ جُرِّدتْ
والحبرُ أقوى من حَديدِ الفاتِحين
أنتَ الّذي هزمَ الفناءَ بموتهِ
وجَحافِلُ الأقزامِ عاشُوا مَيِّتين.